التَّاجِرُ الْأَمِينُ

جَمْعٌ وَتَرْتِيبٌ

مِنْ خُطَبِ وَمُحَاضَرَاتِ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ

أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدٍ رَسْلَانَ

حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

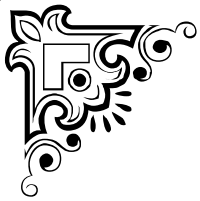

الْإِسْلَامُ دِينُ الْعَمَلِ وَالتَّكَسُّبِ

فَقَدْ حَثَّ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ فِي كِتَابِهِ عَلَى العَمَلِ وَطَلَبِ الرِّزْقِ بِأَنَاةٍ وَرِفْقٍ، مَعَ صَبْرٍ وَكَدْحٍ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠].

فَإِذَا فُرِغَ مِنْ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ، فَتَفَرَّقُوا فِي الْأَرْضِ لِلتِّجَارَةِ وَالتَّصَرُّفِ فِي حَوَائِجِكُمْ وَمَطَالِبِ حَيَاتِكُمْ، وَمَصَالِحِ دُنْيَاكُم، وَاطْلُبُوا رِزْقَ اللهِ بِأَنَاةٍ وَرِفْقٍ، مَعَ صَبْرٍ وَكَدْحٍ، وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا فِي جَمِيعِ أَحْوَالِكُمْ رَغْبَةً فِي الْفَوْزِ بِخَيْرَيْ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.(*).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠].

وَآخَرُونَ يُسَافِرُونَ لِلتِّجَارَةِ؛ مِنْ أَجْلِ مَعَايِشِهِمْ يَطْلُبُونَ مِنْ رِزْقِ اللهِ.(*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ»- [الجمعة: ١٠].

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ»- [المزمل: ٢٠].

وَجَعَلَ اللهُ الْأَرْضَ مُنْقَادَةً لِلْبَشَرِ، وَسَخَّرَ لَهُمُ الْمَخْلُوقَاتِ الْمُخْتَلِفَةَ؛ مِنْ أَجْلِ حِرَاثَةِ الْأَرْضِ وَزِرَاعَتِهَا وَتَعْمِيرِهَا، وَمِنْ أَجْلِ تَرْقِيَةِ الْحَيَاةِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ [الملك: ١٥].

اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مُنْقَادَةً سَهْلَةً مُطَوَّعَةً، تَحْرُثُونَهَا وَتَزْرَعُونَهَا، وَتَسْتَخْرِجُونَ كُنُوزَهَا، وَتَنْتَفِعُونَ مِنْ طَاقَاتِهَا وَخَصَائِصِ عَنَاصِرِهَا، فَامْشُوا فِي جَوَانِبِهَا وَأَطْرَافِهَا وَنَوَاحِيهَا مَشْيًا رَفِيقًا لِتَحْصِيلِ مَطَالِبِ الْحَيَاةِ، وَكُلُوا مِمَّا خَلَقَهُ اللهُ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ، وَاكْتَسِبُوا الرِّزْقَ مِمَّا أَحَلَّ اللهُ -تَعَالَىٰ- لَكُمْ، وَتَذَكَّرُوا يَوْمَ الْحِسَابِ، وَإِلَيْهِ وَحْدَهُ تُبْعَثُونَ مِنْ قُبُورِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْحِسَابِ وَفَصْلِ الْقَضَاءِ وَتَنْفِيذِ الْجَزَاءِ.(*).

وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٣].

اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّحَابِ مَاءً، فَأَخْرَجَ بِذَلِكَ الْمَاءِ الْمُخْتَلِطِ بِتُرَابِ الْأَرْضِ، أَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ، وَذَلَّلَ لَكُمُ السُّفُنَ الْجَارِيَةَ عَلَىٰ الْمَاءِ وَفْقِ نِظَامِ الْطَفِ الَّذِي قَدَّرَهُ اللهُ فِي كَوْنِهِ؛ لِأَجْلِ الِانْتِفَاعِ بِهَا فِي جَلْبِ الرِّزْقِ مِنْ بَلَدٍ لِآخَرَ، وَذَلَّلَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ تَشْرَبُونَ مِنْهَا وَتَسْقُونَ زَرْعَكُمْ،

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» -[الملك: ١٠].

وَأَشْجَارَكُمْ، وَأَنْعَامَكُمْ، وَدَوَابَّكُمْ، وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ أُخْرَىٰ.

وَذَلَّلَ اللهُ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ تَجْرِيَانِ دَائِمًا فِيمَا يَعُودُ إِلَىٰ مَصَالِحِ الْعِبَادِ، لَا يَفْتُرَانِ عَنْ حَرَكَتِهِمَا مِنْ انْقِضَاءِ عُمُرِ الدُّنْيَا وَذَهَابِهَا، وَذَلَّلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ يَتَعَاقَبَانِ فِي الظُّلْمَةِ وَالضِّيَاءِ، وَالنُّقْصَانِ وَالزِّيَادَةِ؛ لِتَسْكُنُوا فِي اللَّيْلِ وَتَسْتَرِيحُوا، وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ فِي النَّهَارِ وَتُدَبِّرُوا مَعَايَشَكُمْ.(*).

وَأَمَرَ اللهُ الْإِنْسَانَ بِأَنْ يَشْغَلَ نَفْسَهُ بِمَطَالِبِ دُنْيَاهُ بِالْعَمَلِ وَالْجِدِّ، أَوْ مَطَالِبِ آخِرَتِهِ بِالتَّقْوَى وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۝٨﴾ [الشرح: ٧-٨].

فَإِذَا فَرَغْتَ مِنْ عَمَلٍ نَافِعٍ مُفِيدٍ يُقَرِّبُكَ إِلَىٰ اللهِ؛ فَاجْتَهِدْ فِي عَمَلٍ نَافِعٍ جَدِيدٍ، وَأَتْعِبْ نَفْسَكَ فِيهِ، وَلَا تُخْلِي وَقْتًا مِنْ أَوْقَاتِكَ فَارِغًا، وَلَا تَرْكَنْ إِلَىٰ الرَّاحَةِ وَالدَّعَةِ، وَإِلَىٰ رَبِّكَ وَحْدَهُ فَتَضَرَّعْ، وَاجْعَلْ رَغْبَتَكَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ فِي جَمِيعِ مَطَالِبِ دُنْيَاكَ وَآخِرَتِكَ، وَتَرَفَّعْ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ، فَهُوَ وَحْدَهُ الْقَادِرُ عَلَىٰ إِجَابَتِكَ وَإِسْعَافِكَ.(*/٢).

وَمَنْ تَأَمَّلَ فِي خَلْقِ اللهِ لِمَخْلُوقَاتِهِ فِي أَرْضِهِ، وَتَسْخِيرِهَا لِلْإِنْسَانِ، يَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الصِّنَاعَاتِ الْحَدِيثَةِ قَامَتْ بِسَبَبِ هَذَا التَّسْخِيرِ وَالتَّذْلِيلِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ»- [إبراهيم: ٣٢-٣٣].

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ»- [الشرح: ٧-٨].

لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ٨٠ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ٨١ ﴾ [النحل: ٨٠-٨١].

اللهُ -سُبْحَانَهُ- جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الَّتِي هِيَ مِنَ الْحَجَرِ رَاحَةً وَاسْتِقْرَارًا وَمَسْكَنًا تَسْكُنُونَهُ وَأَنْتُمْ مُقِيمُونَ فِي الْحَضَرِ، وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ -وَهِيَ الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ- خِيَامًا يَخِفُّ عَلَيْكُمْ حَمْلُهَا فِي يَوْمِ سَيْرِكُمْ وَرَحِيلِكُمْ فِي أَسْفَارِكُمْ، وَتَخِفُّ عَلَيْكُمْ -أَيْضًا- فِي إِقَامَتِكُمْ وَحَضَرِكُمْ، وَلَا تَثْقُلُ عَلَيْكُمْ فِي الْحَالَيْنِ.

وَتَتَّخِذُونَ مِنْ أَصْوَافِ الضَّأْنِ وَأَوْبَارِ الْإِبِلِ وَأَشْعَارِ الْمَعْزِ أَثَاثًا لِبُيُوتِكُمْ مِنَ الْفُرُشِ وَالْأَكْسِيَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَبَلَاغًا تَتَمَتَّعُونَ بِهِ إِلَىٰ حِينِ الْمَوْتِ.

اسْتُدِلَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَىٰ طَهَارَةِ جُلُودِ الْأَنْعَامِ الَّتِي حَلَّ أَكْلُهَا، وَطَهَارَةِ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا إِذَا جُزَّ فِي الْحَيَاةِ، وَكَذَلِكَ جِلْدُ الْمَيْتَةِ مِنَ الْأَنْعَامِ إِذَا دُبِغَ.

وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ ظِلَالِ الْأَبْنِيَةِ وَالْجُدْرَانِ وَالْأَشْجَارِ مَا تَسْتَظِلُّونَ بِهِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ، وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِدَارِ مَا تَسْتَكِنُّونَ فِيهِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ، كَالْأَسْرَابِ وَالْمَغَارَاتِ وَالْكُهُوفِ وَنَحْوِهَا، وَجَعَلَ لَكُمْ قُمُصًا وَثِيَابًا مِنَ الْقُطْنِ وَالصُّوفِ وَالْكَتَّانِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، تَمْنَعُكُمْ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ، وَدُرُوعًا تَقِيكُمْ فِي

الْحَرْبِ بَأْسَ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ، وَلَا تَصِلُ السُّيُوفُ وَالرِّمَاحُ إِلَىٰ جَسَدِ مِنْ يُضْرَبُ بِشَيْءٍ مِنْهَا.

كَذَلِكَ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ لَكُمْ فِيمَا مَضَىٰ، سَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ؛ فَيُمَكِّنُكُمْ مِنْ صُنْعِ أَشْيَاءَ لَا حَصَرَ لَهَا فِي الْعُصُورِ الْقَادِمَةِ بَعْدَ عَصْرِ التَّنْزِيلِ، مِمَّا تَوَصَّلَ إِلَيْهِ النَّاسُ مِنْ صِنَاعَاتٍ مُذْهِلَةٍ بِإِلْهَامِ اللهِ لَهُمْ؛ رَغْبَةً فِي أَنْ تُؤْمِنُوا بِالْحَقِّ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ لَكُمْ فِي كِتَابِهِ، وَفِي أَنْ تُسْلِمُوا مُنْقَادِينَ لَهُ فِي شَرَائِعِهِ وَأَحْكَامِهِ.(*).

عِبَادَ اللهِ! إِذَا كَانَتْ مُهِمَّةُ الْإِنْسَانِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ هِيَ إِعْمَارَ الْأَرْضِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ لَنْ يَتَحَقَّقَ إِلَّا بِالْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ، وَالْعَمَلِ مِنْ أَجْلِ بُلُوغِ الْهَدَفِ، فَالْحَيَاةُ بِلَا عَقِيدَةٍ وَعَمَلٍ مَوَاتٌ.

وَالْإِنْسَانُ أَعْطَاهُ اللهُ مِنَ الْقُوَى وَالطَّاقَاتِ مَا يَجْعَلُهُ قَادِرًا -بِإِذْنِ اللهِ وَتَوْفِيقِهِ وَإِعَانَتِهِ- عَلَى قِيَادَةِ سَفِينَةِ الْحَيَاةِ بِالْعَمَلِ الْجَادِّ الْمُنْتِجِ الَّذِي يَعُودُ عَلَى الْفَرْدِ وَالْمُجْتَمَعِ بِالْخَيْرِ الْعَمِيمِ.

وَمِنْ هُنَا كَانَ اهْتِمَامُ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالْعَمَلِ اهْتِمَامًا بَالِغًا؛ لِأَنَّهُ مَصْدَرُ كَرَامَةِ الْإِنْسَانِ، وَهَذَا مَا يُرْشِدُنَا إِلَيْهِ الرَّسُولُ ﷺ فِي سُنَّتِهِ(٢).. يُرْشِدُنَا إِلَى ضَرُورَةِ الْعَمَلِ الْجَادِّ، وَيَحُثُّنَا عَلَى إِعْمَارِ الْأَرْضِ إِلَى آخِرِ لَحْظَةٍ فِي الْحَيَاةِ؛ فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ «**إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَلَّا تَقُومَ**

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [النحل: ٨٠-٨١].

(٢) بتصرف من مقال: «**العمل الشريف عبادة**».

حَتَّىٰ يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا»[1]. وَالْحَدِيثُ صَحِيحٌ، أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ.

وَ«**فَسِيلَةٌ**»: هِيَ النَّخْلَةُ الصَّغِيرَةُ.

هَذَا فِيهِ مُبَالَغَةٌ فِي الْحَثِّ عَلَىٰ غَرْسِ الْأَشْجَارِ وَحَفْرِ الْأَنْهَارِ؛ لِتَبْقَىٰ هَذِهِ الدَّارُ عَامِرَةً إِلَىٰ آخِرِ أَمَدِهَا الْمَحْدُودِ الْمَعْلُومِ عِنْدَ خَالِقِهَا، فَكَمَا غَرَسَ لَكَ غَيْرُكَ؛ فَانْتَفَعْتَ بِهِ، فَاغْرِسْ أَنْتَ لِمَنْ يَجِيءُ بَعْدَكَ؛ لِيَنْتَفِعَ بِهِ، وَإِنْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا صُبَابَةٌ، وَذَلِكَ بِهَذَا الْقَصْدِ لَا يُنَافِي الزُّهْدَ وَالتَّقَلُّلَ مِنَ الدُّنْيَا.

وَالنَّبِيُّ ﷺ ذَكَرَ أَحَادِيثَ فِي اسْتِثْمَارِ الْأَرْضِ وَزَرْعِهَا، وَالْحَثِّ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَلَا أَدَلَّ عَلَىٰ الْحَضِّ عَلَىٰ الِاسْتِثْمَارِ مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الْكَرِيمَةِ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي مَعَنَا؛ فَإِنَّ فِيهِ تَرْغِيبًا عَظِيمًا عَلَىٰ اغْتِنَامِ آخِرِ فُرْصَةٍ مِنَ الْحَيَاةِ فِي

---

(١) «**الأدب المفرد**» للبخاري (رقم ٤٧٩)، وأَخْرَجَهُ أيضا: الطَّيَالِسِيُّ في «**المسند**» (٣/ رقم ٢١٨١)، وَأَحْمَدُ في «**المسند**» (٣/ ١٨٣ - ١٨٤ و١٩١)، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ كما في «**المنتخب من مسنده**» (رقم ١٢١٦)، وَالْبَزَّارُ في «**مسنده**» (١٤/ رقم ٧٤٠٨)، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ الْخَلَّالِ فِي «الْحَثِّ عَلَىٰ التِّجَارَةِ» (رقم ٧٥)، وَابْنُ الْأَعْرَابِيِّ فِي «**معجمه**» (رقم ١٨١)، وَابْنُ عَدِيٍّ فِي «**الْكَامِلِ**» (٦/ ٧٥ - ٧٦، ترجمة عُمَر بْنِ حَبِيبٍ: ١٢٠٨)، والضياء في «**المختارة**» (٧/ رقم ٢٧١١ و٢٧١٥)، مِنْ حديث: أَنَسٍ رضي الله عنه.
والحديث رَوَاهُ أيضا: مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَىٰ بْنِ أَبِي عُمَرَ، وأَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ، وأَبُو يَعْلَىٰ الْمُوصِلِيُّ، كما عزاه البوصيري في «**إتحاف الخيرة المهرة**» (٣/ ٣٨٤، رقم ٢٩٤٤).
وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «**الصَّحِيحَةِ**» (١/ رقم ٩)، وفي «**صحيح الأدب المفرد**» (رقم ٣٧١).

سَبِيلِ زَرْعِ مَا يَنْتَفِعُ بِهِ النَّاسُ بَعْدَ مَوْتِهِ، فَيَجْرِي لَهُ أَجْرُهُ، وَتُكْتَبُ لَهُ صَدَقَتُهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

قَوْلُهُ: «**فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَلَّا تَقُومَ حَتَّىٰ يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا**»: وَهَذَا -كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ- يَتَطَلَّبُ زَمَانًا مَمْدُودًا؛ لِكَيْ يَتَحَصَّلَ الْمَرْءُ عَلَىٰ نَتِيجَتِهِ وعَائِدِهِ؛ لِأَنَّ النَّخْلَةَ يَسْتَمِرُّ نُمُوُّهَا حَتَّىٰ إِثْمَارِهَا سَنَواتٍ، وَمَعَ ذَلِكَ فَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «**إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَلَّا تَقُومَ حَتَّىٰ يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا**».

مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَنْتَفِعْ بِهَا يَقِينًا -حِينَئِذٍ-، وَلَكِنَّهُ ﷺ يَحُثُّ عَلَىٰ غَرْسِ الْأَشْجَارِ وَحَفْرِ الْأَنْهَارِ، وَعَلَىٰ الْعَمَلِ الصَّالِحِ النَّافِعِ بِصِفَةٍ عَامَّةٍ، وَإِنْ ظَهَرَتْ نَتَائِجُهُ وَعَوَاقِبُهُ عَلَىٰ الْمَدَىٰ الْبَعِيدِ، وَكَانَتْ نَتَائِجُهُ وَثِمَارُهُ بَطِيئَةً جِدًّا.

فِي هَذَا الْحَدِيثِ: التَّرْغِيبُ الْعَظِيمُ عَلَىٰ اغْتِنَامِ آخِرِ فُرْصَةٍ مِنَ الْحَيَاةِ فِي سَبِيلِ زَرْعِ مَا يَنْتَفِعُ بِهِ النَّاسُ بَعْدَ مَوْتِهِ، فَيُجْرَىٰ لَهُ أَجْرُهُ وَتُكْتَبُ لَهُ صَدَقَتُهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَالْحَثُّ عَلَىٰ الطَّاعَةِ إِلَىٰ آخِرِ لَحْظَةٍ مِنَ الْحَيَاةِ.(*).

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَىٰ ظَهْرِهِ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ**». وَهَذَا الْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(٢).(*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِن: «شَرْحِ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (حَدِيث ٤٧٩، ص: ٢١٢٥ - ٢١٢٨).

(٢) تقدم تخريجه.

(*/٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «مِنْ آدَابِ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ» - الْأَرْبِعَاءُ ٢ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣١هـ| ١٤-٧-٢٠١٠م.

وَبَيَّنَ ﷺ ثَمَرَةَ الْعَمَلِ الْجَزِيلَةَ، وَوَضَّحَ أَجْرَ نَفَقَةِ الرَّجُلِ عَلَى أَهْلِهِ؛ فَعَنِ الْمِقْدَامِ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**مَا أَطْعَمْتَ نَفْسَكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ، وَمَا أَطْعَمْتَ وَلَدَكَ وَزَوْجَتَكَ وَخَادِمَكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ**»(١). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ»، وَأَحْمَدُ، وَالنَّسَائِيُّ فِي «الْكُبْرَىٰ»، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ».

هَذَا الْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَىٰ بَيَانِ شَيْءٍ مِنْ فَضَائِلِ الْإِسْلَامِ وَمَحَاسِنِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ مَا أَنْفَقْتَهُ عَلَىٰ نَفْسِكَ مِنَ الْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا تَنْتَفِعُ بِهِ؛ يَكُونُ لَكَ فِيهِ صَدَقَةٌ، وَهَكَذَا مَا أَنْفَقْتَهُ عَلَىٰ مَنْ تَحْتَ يَدِكَ مِنْ زَوْجَةٍ، وَابْنٍ، وَخَادِمٍ وَمَمْلُوكٍ لَكَ فِيهِ صَدَقَاتٌ، وَهَذَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ النِّيَّةِ.

إِنَّ مَا أَنْفَقْتَهُ عَلَىٰ نَفْسِكَ -أَيُّهَا الْمُسْلِمُ-، وَعَلَىٰ أَهْلِكَ وَعَلَىٰ مَمْلُوكِكَ، وَعَلَىٰ الْأَجِيرِ الْخَادِمِ، وَالْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ صَدَقَةٌ، كُلُّ مَا أَنْفَقْتَهُ فَلَكَ فِيهِ صَدَقَاتٌ.

وَهَذَا مِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ وَفَضَائِلِهِ، وَمِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، وَيَحْتَاجُ هَذَا إِلَىٰ النِّيَّةِ، أَيْ: أَنْ تَنْوِيَهُ نِيَّةً عَامَّةً فِي كُلِّ مَا أَنْفَقْتَ

---

(١) «**الأدب المفرد**» للبخاري (رقم ١٩٥)، وأخرجه البخاري أيضا (رقم ٨٢)، وابن ماجه في «**السنن**» (رقم ٢١٣٨)، وأحمد في «**المسند**» (٤/ ١٣١ - ١٣٢)، والنسائي في «**الكبرىٰ**» (٨/ رقم ٩١٤١ و٩١٦٠)، ولفظ ابن ماجه: «**مَا كَسَبَ الرَّجُلُ كَسْبًا أَطْيَبَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَمَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَخَادِمِهِ، فَهُوَ صَدَقَةٌ**».
والحديث صححه الألباني في «**صحيح الأدب المفرد**» (رقم ٦٠ و١٤٣)، وفي «**الصحيحة**» (١/ رقم ٤٥٢).

مِنْ مَالِكَ فِي وُجُوهِ الْحَلَالِ؛ وَمِنْ ذَلِكَ: الْمَطْعَمُ وَالْمَشْرَبُ، وَالْمَسْكَنُ وَالْمَرْكَبُ تَحْتَسِبُهُ فَلَكَ فِيهِ صَدَقَاتٌ جَارِيَةٌ.

وَهَكَذَا إِذَا قَدَّمْتَ إِحْسَانًا تَحْتَسِبُ فِيهِ الْأَجْرَ عِنْدَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَفِي الْحَدِيثِ: «**لَا أَجْرَ إِلَّا عَن حِسْبَةٍ**» -صَحَّحَهُ لِغَيْرِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»-(١)؛ أَيْ: لِمَنْ يَحْتَسِبُ، وَهُوَ بِمَعْنَىٰ حَدِيثِ: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**»(٢)؛ أَيْ: تَنْوِي إِذَا قُدِّمَ لَكَ الطَّعَامُ مِنْ حَلَالٍ أَنْ تَنْوِيَ فِي هَذَا الطَّعَامِ أَنَّكَ تُحْسِنُ بِهِ إِلَىٰ نَفْسِكَ، وَتَتَقَوَّىٰ بِهِ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ وَقَضَاءِ حَاجَاتِكَ الْمُبَاحَةِ وَالشَّرْعِيَّةِ؛ فَيَكُونُ لَكَ فِي هَذَا الطَّعَامِ أَجْرٌ.

وَهَذَا تَكَرُّمٌ مِنَ اللهِ ﷻ وَإِحْسَانٌ وَإِفْضَالٌ، وَهَكَذَا كُلُّ مَنْ أَكَلَ مِنْ مَائِدَتِكَ، وَكُلُّ مَنْ شَرِبَ مِمَّا كَسَبَتْ يَدُكَ لَكَ فِيهِ أَجْرٌ.

---

(١) أخرجه الديلمي في «**مسنده**» (٤/ ٢٠٦)، من حديث: أبي ذر رضي الله عنه، كما في «**الصحيحة**» (٥/ رقم ٢٤١٥) للألباني، وصححه بشواهده.
والحديث روي بنحوه عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، بلفظ: «...، **لَا عَمَلَ لِمَنْ لَا نِيَّةَ لَهُ، وَلَا أَجْرَ لِمَنْ لَا حِسْبَةَ لَهُ**»، أخرجه البيهقي في «**الكبرىٰ**» (١/ ٤١، رقم ١٧٩)، والخطيب في «**الجامع لأخلاق الراوي**» (رقم ٦٨٦)، بإسناد ضعيف، وروي عن القاسم بن عبد الرحمن الشامي، مرسلا، بلفظ: «**لَا أَجْرَ لِمَنْ لَا حِسْبَةَ لَهُ**»، أخرجه ابن المبارك في «**الزهد**» (رقم ١٥٢)، بإسناد لا بأس به عنه.

(٢) أخرجه البخاري (رقم ١، و٥٤) ومواضع، ومسلم (١٩٠٧)، من حديث: عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه.

وَهَذَا جَاءَ مُوَضَّحًا فِي الْأَحَادِيثِ الثَّابِتَةِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ رَحْمَةٌ مِنَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِهَذَا الْمُسْلِمِ الضَّعِيفِ، وَأَنَّ هَذَا الْعَبْدَ الْمُسْلِمَ ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَىٰ لَا يَضِيعُ مِنْ عَمَلِهِ شَيْءٌ أَبَدًا، حَتَّىٰ هَذَا الشَّيْءُ الَّذِي يَنْتَفِعُ بِهِ وَيَحْفَظُ صِحَّتَهُ وَبِنْيَتَهُ، وَيَحْفَظُ وَلَدَهُ لَهُ فِيهِ الْأُجُورُ الْمُضَاعَفَةُ؛ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَىٰ سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ.(*).

النَّبِيُّ ﷺ بَيَّنَ لِلْأُمَّةِ ضَرُورَةَ الْعَمَلِ، عَامِلِينَ بِقَاعِدَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ؛ هُمَا: التَّوَكُّلُ عَلَى اللهِ وَالْأَخْذُ بِالْأَسْبَابِ؛ فَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخطَّابِ رضي الله عنه -فِيمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُمْ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ-، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَمَا إِنَّكُمْ لَوْ تَوَكَّلْتُم عَلَىٰ اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمُ اللهُ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَعُودُ بِطَانًا**»(٢).

فَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ قَاعِدَتَيْنِ كَبِيرَتَيْنِ فِي أَصْلِ هَذَا الدِّينِ:

* **الْأُولَىٰ**: هِيَ قَاعِدَةُ التَّوَكُّلِ.

* **وَالثَّانِيَةُ**: قَاعِدَةُ الْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ.

وَالْحَدِيثُ يُفْهَمُ فَهْمًا مَضْبُوطًا، وَلَا عُذْرَ لِأَحَدٍ فِي فَهْمِهِ عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ الْمَغْلُوطِ؛ لِأَنَّ الْحَدِيثَ بِنَفْسِهِ فِيهِ الدَّلَالَةُ عَلَىٰ وُجُوبِ الْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ، فَإِنَّ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِن: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (ص٩١٨-٩٢١).

(٢) أخرجه الترمذي في «**الجامع**» (رقم ٢٣٤٤)، وابن ماجه في «**السنن**» (رقم ٤١٦٤)، وصححه الألباني في «**الصحيحة**» (١/ رقم ٣١٠).

الطَّيْرَ فِي الْوُكُنَاتِ وَفِي الْأَعْشَاشِ لَا تَبْقَىٰ فِي أَعْشَاشِهَا، وَإِنَّمَا تُبَكِّرُ فِي الذَّهَابِ لِالْتِقَاطِ رِزْقِهَا.

يَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ تَوَكَّلْتُم عَلَىٰ اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمُ اللهُ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو...**»: وَالْغُدُوُّ: هُوَ الْخُرُوجُ فِي بُكْرَةِ النَّهَارِ، فَتَغْدُو هَذِهِ الطُّيُورُ مِنْ أَعْشَاشِهَا وَوُكُنَاتِهَا مِنْ أَجْلِ الْتِقَاطِ رِزقِهَا مُبَكِّرَةً مَعَ خُيُوطِ الْفَجْرِ الْأَوَّلِ، سَاعِيَةً فِي أَرْضِ اللهِ، لَكِنَّهَا لَا تَحْمَلُ لِرِزْقِهَا هَمًّا، وَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَرْزُقُهَا كَمَا رَزَقَهَا الْحَيَاةَ؛ لِأَنَّهُ لَا يَحْيَا أَحَدٌ مِنْ غَيْرِ رِزْقٍ، وَالْحَيَاةُ وَالْأَجَلُ يَرْتَبِطَانِ بِالرِّزْقِ ارْتِبَاطًا مُبَاشَرًا، بِحَيْثُ إِنَّهُ لَا يَحْيَا كَائِنٌ حَيٌّ بِغَيْرِ رِزْقٍ، يَقُولُ النَّاسُ: «فُلَانٌ حَيٌّ يُرْزَقُ»، وَلَنْ تَجِدَ أَبَدًا أَنَّ فُلَانًا حَيٌّ لَا يُرْزَقُ، فَارْتِبَاطُ الْأَجَلِ بِالرِّزْقِ أَمْرٌ حَتْمِيٌّ بِصَيْرُورَةٍ تَمْضِي إِلَىٰ الْمَوْتِ، وَحِينَئِذٍ لَا أَجَلَ وَلَا رِزْق.

فَالنَّبِيُّ ﷺ يُبَيِّنُ لَنَا أَنَّ الطُّيُورَ تَغْدُو مُبَكِّرَةً مِنْ أَعْشَاشِهَا، تَطْلُبُ رِزْقَهَا، تَلْتَقِطُهُ فِي جَنَبَاتِ الْأَرْضِ، لَا تَحْمِلُ لَهُ هَمًّا، «**خِمَاصًا**»: جَمْعُ أَخْمَصٍ، وَهَذِهِ الْحَوَاصِلُ الْخُمْصُ قَدْ الْتَزَقَتْ لُحُومُهَا بِبَعْضِهَا، بِحَيْثُ إِنَّهَا لَا تَحْوِي شَيْئًا، «**تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَعُودُ بِطَانًا**»: وَقَدْ امْتَلَأَتْ بُطُونُهَا وَحَوَاصِلُهَا، مِنْ أَيْنَ؟!!

مِنْ رِزْقِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

هَلْ قَدَّرَتْ لِذَلِكَ تَقْدِيرًا؟!!

هَلْ وَضَعَتْ لَهُ خُطَّةً لِلْعَمَلِ مِنْ أَجْلِ اكْتِسَابِهِ؟!!

إِنَّمَا أَخَذَتْ بِالْأَسْبَابِ، فَلَا بُدَّ مِنَ الْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ مَعَ التَّوَكُّلِ عَلَىٰ رَبِّ الْأَسْبَابِ، بِحَيْثُ إِنَّ الْإِنْسَانَ يَخْرُجُ مِنْ قَيْدِ الرُّبُوبِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ فِيهِ مَدْخَلٌ، وَيَدْخُلُ فِي أَسْرِ الْعُبُودِيَّةِ، فَهَذَا هُوَ التَّوَكُّلُ، أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنَ الرُّبُوبِيَّةِ، لَا يَدَّعِي رِزْقًا، وَلَا يَدَّعِي حَوْلًا وَلَا حِيلَةً؛ لِأَنَّ اللهَ هُوَ خَالِقُهُ وَهُوَ رَازِقُهُ، وَهُوَ مَالِكُ أَمْرِهِ، وَنَاصِيتُهُ بِيَدِهِ.

وَهُوَ يَفْعَلُ بِهِ مَا يَشَاءُ عَلَىٰ مُقْتَضَىٰ حِكْمَتِهِ، وَلَا رَادَّ لِقَضَائِهِ فِيهِ، وَلَا رَادَّ لِحُكْمِهِ فِيهِ، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ بِمَا يُرِيدُ، وَأَمَّا الْأَخْذُ بِالْأَسْبَابِ فَهَذَا مَوْكُولٌ إِلَىٰ الْعَبْدِ، وَلَا يُعَوِّلُ الْمَرْءُ عَلَىٰ السَّبَبِ؛ لِأَنَّ النَّاسَ يَأْخُذُونَ كَثِيرًا بِالْأَسْبَابِ وَلَا يُحَصِّلُونَ شَيْئًا مِنَ النَّتَائِجِ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «قَضِيَّةُ الرِّزْقِ» - الْجُمُعَةُ ١٣ مِنْ جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ ١٤٣٨هـ| ١٧-٢-٢٠١٧م.

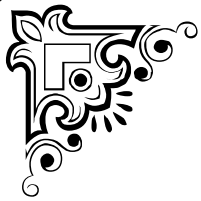

الْعَمَلُ سُنَّةُ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّحَابَةِ

«إِنَّ الْعَمَلَ سُنَّةُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَهُوَ سُنَّةُ الصَّحَابَةِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ-، فَالِاحْتِرَافُ وَالتَّكَسُّبُ قَامَ بِهِ خَيْرُ الْخَلْقِ وَهُمْ أَنْبِيَاءُ اللهِ -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ-، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِمْ أَصْحَابُ نَبِيِّنَا ﷺ وَ رضي الله عنهم.

وَقَدْ تَكَاثَرَتِ الْآيَاتُ وَالْأَحَادِيثُ فِي بَيَانِ ذَلِكَ؛ قَالَ -تَعَالَىٰ- عَنْ دَاوُدَ عليه السلام: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ [الأنبياء: ٨٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝١٠﴾ [سبأ: ١٠].

وَعَنِ الْمِقْدَامِ رضي الله عنه -كَمَا أَخْرَجَ ذَلِكَ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»[(١)]- عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ**».

وَثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ -كَمَا عِنْدَ مُسْلِمٍ[(٢)]- عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**أَنَّ نَبِيَّ اللهِ زَكَرِيَّا كَانَ نَجَّارًا**».

---

(١) «**الصحيح**»: (٤/ ٣٠٣، رقم ٢٠٧٢).

(٢) أخرجه مسلم في «**الصحيح**»: (٤/ ١٨٤٧، رقم ٢٣٧٩)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

وَعَمِلَ مُوسَىٰ عليه السلام أَجِيرًا عَشْرَ سِنِينَ؛ كَمَا قَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ- حِكَايَةً عَنِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧ قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ٢٨﴾ [القصص: ٢٧-٢٨].

وَقَدْ تَاجَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي مَالِ خَدِيجَةَ -كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ مِنْ سِيرَتِهِ ﷺ-، وَسُئِلَ ﷺ: أَكُنْتَ تَرْعَىٰ الْغَنَمَ؟

قَالَ: «**وَهَلْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ رَعَاهَا**». وَالْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(١).

وَأَمَّا مَا وَرَدَ عَنْ عَمَلِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم؛ فَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ عُمَّالَ أَنْفُسِهِمْ، فَكَانَ يَكُونُ لَهُمْ أَرْوَاحٌ، فَقِيلَ لَهُمْ: لَوِ اغْتَسَلْتُمْ». هَذَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(٢).

وَمَعْنَىٰ «**أَرْوَاحٌ**»؛ أَيْ: لَهُمْ رَوَائِحُ؛ بِسَبَبِ عَمَلِهِمْ وَعَرَقِهِمْ.

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: لَمَّا اسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه قَالَ: «قَدْ عَلِمَ قَوْمِي أَنَّ حِرْفَتِي لَمْ تَكُنْ تَعْجِزُ عَنْ مَؤُونَةِ أَهْلِي، وَشُغِلْتُ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ،

---

(١) «**صحيح البخاري**»: (٦/ ٤٣٨، رقم ٣٤٠٦)، و«**صحيح مسلم**»: (٣/ ١٦٢١، رقم ٢٠٥٠)، من حديث: جَابِرٍ رضي الله عنه.

(٢) «**صحيح البخاري**»: (٤/ ٣٠٣، رقم ٢٠٧١)، و«**صحيح مسلم**»: (٢/ ٥٨١، رقم ٨٤٧).

فَسَيَأْكُلُ آلُ أَبِي بَكْرٍ مِنْ هَذَا الْمَالِ، وَأَحْتَرِفُ لِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ». هَذَا عِنْدَ الْبُخَارِيِّ فِي «الصَّحِيحِ»(١).

وَمَعْنَىٰ الْحَدِيثِ: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه كَانَ صَاحِبَ حِرْفَةٍ يَكْتَسِبُ مِنْهَا، فَلَمَّا وُلِّيَ الْخِلَافَةَ شُغِلَ عَنْ حِرْفَتِهِ لِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ، فَفَرَضَ لَهُ حَاجَتَهُ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ، يَأْكُلُ مِنْ ذَلِكَ هُوَ وَآلُهُ.

وَقَوْلُهُ: «وَأَحْتَرِفُ لِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ»؛ أَيْ: أَنْظُرُ فِي أُمُورِهِمْ وَتَمْيِيزِ مَكَاسِبِهِمْ وَأَقْوَاتِهِمْ وَأَرْزَاقِهِمْ.

وَعَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه: «أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ عَلَىٰ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ -وَكَأَنَّ عُمَرَ رضي الله عنه كَانَ مَشْغُولًا-، فَرَجَعَ أَبُو مُوسَىٰ...» الْحَدِيثَ، وَهُوَ مَعْلُومٌ فِي سُنَّةِ الِاسْتِئْذَانِ، وَفِيهِ قَالَ عُمَرُ: «أَخَفِيَ عَلَيَّ هَذَا مِنْ أَمْرِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم!!»؛ يَتَعَجَّبُ مِنْ حَالِهِ.

ثُمَّ قَالَ: «أَلْهَانِي الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ»؛ يَعْنِي: الْخُرُوجَ إِلَىٰ التِّجَارَةِ.

الْحَدِيثُ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ، وَعِنْدَ مُسْلِمٍ أَيْضًا(٢).

فَعُمَرُ رضي الله عنه يَقُولُ إِنَّهُ كَانَ يُتَاجِرُ، وَكَانَ يَخْتَلِفُ إِلَىٰ الْأَسْوَاقِ، فَلَمَّا فَاتَتْهُ هَذِهِ السُّنَّةُ مِنْ سُنَنِ الِاسْتِئْذَانِ صَارَ يَتَعَجَّبُ مِنْ أَمْرِ نَفْسِهِ، قَالَ: «أَخَفِيَ عَلَيَّ هَذَا مِنْ

---

(١) «**الصحيح**» للبخاري: (٤/ ٣٠٣، رقم ٢٠٧٠).

(٢) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (٤/ ٢٩٨، رقم ٢٠٦٢)، ومسلم في «**الصحيح**»: (٣/ ١٦٩٥-١٦٩٦، رقم ٢١٥٣).

أَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ!! أَلْهَانِي الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ».

وَعَنْ أَبِي الْمِنْهَالِ قَالَ: «سَأَلْتُ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ وَزَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ الصَّرْفِ».

فَقَالَا: «كُنَّا تَاجِرَيْنِ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَأَلْنَاهُ عَنِ الصَّرْفِ، **فَقَالَ: إِنْ كَانَ يَدًا بِيَدٍ**(١) **فَلَا بَأْسَ، وَإِنْ كَانَ نَسِيئًا**(٢) **فَلَا يَصْلُحُ**». هَذَا فِي وَ«الصَّرْفُ»: مُبَادَلَةُ النَّقْدِ بِالنَّقْدِ، يُعْرَفُ الْآنَ بِبَيْعِ الْعُمْلَةِ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **قَالَ:** «إِنَّكُمْ تَقُولُونَ: إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُكْثِرُ الْحَدِيثَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَتَقُولُونَ: مَا بَالَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ لَا يُحَدِّثُونَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ...».

قَالَ مُعَلِّلًا: «وَإِنَّ إِخْوَانِي مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ، وَكُنْتُ أَلْزَمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَىٰ مِلْءِ بَطْنِي، فَأَشْهَدُ إِذَا غَابُوا، وَأَحْفَظُ إِذَا نَسُوا، وَكَانَ يَشْغَلُ إِخْوَانِي مِنَ الْأَنْصَارِ عَمَلُ أَمْوَالِهِمْ، وَكُنْتُ امْرَأً مِسْكِينًا مِنْ مَسَاكِينِ الصُّفَّةِ أَعِي حِينَ يَنْسَوْنَ، وَقَدْ قَالَ نَبِيُّنَا ﷺ فِي حَدِيثٍ يُحَدِّثُهُ: «**إِنَّهُ لَنْ يَبْسُطَ أَحَدٌ ثَوْبَهُ حَتَّىٰ أَقْضِيَ مَقَالَتِي هَذِهِ، ثُمَّ يَجْمَعُ إِلَيْهِ ثَوْبَهُ إِلَّا وَعَىٰ مَا أَقُولُ**»،

---

(١) «**يدًا بيد**»: يقبض كل من المتعاقدين البدل من الآخر في المجلس.

(٢) «**نَسِيْئًا**» بكسر السين ثم مثناة تحتية ساكنة مهموزًا؛ أي: متأخِّرًا، وفي رواية: «**نَسَاءً**» بفتح النون والسين المهملة ممدودًا.

(٣) «**صحيح البخاري**»: (٤/ ٢٩٧، رقم ٢٠٦٠)، واللفظ له، و«**صحيح مسلم**»: (٣/ ١٢١٢، رقم ١٥٨٩).

فَبَسَطْتُ بُرْدَةً عَلَيَّ، حَتَّىٰ إِذَا قَضَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَقَالَتَهُ جَمَعْتُهَا إِلَىٰ صَدْرِي، فَمَا نَسِيتُ مِنْ مَقَالَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ تِلْكَ مِنْ شَيْءٍ».

هَذَا الْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(١).

وَفِيهِ: أَنَّ الْمُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ، وَأَنَّ الْأَنْصَارَ كَانَ يَشْغَلُهُمْ عَمَلٌ فِي أَمْوَالِهِمْ، فِي زُرُوعِهِمْ وَفِي بَسَاتِينِهِمْ.

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»(٢) **عَنْ أَنَسٍ** رضي الله عنه **قَالَ**: «قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ الْمَدِينَةَ فَآخَىٰ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ، وَكَانَ سَعْدٌ ذَا غِنًىٰ، فَقَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: أُقَاسِمُكَ مَالِي نِصْفَيْنِ وَأُزَوِّجُكَ.

قَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، دُلُّونِي عَلَىٰ السُّوقِ.. فَمَا رَجَعَ حَتَّىٰ اسْتَفْضَلَ أَقِطًا وَسَمْنًا، فَأَتَىٰ بِهِ أَهْلَ مَنْزِلِهِ رضي الله عنه...».

وَعَنْ خَبَّابِ بْنِ الْأَرَتِّ قَالَ: «كُنْتُ قَيْنًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ لِي عَلَىٰ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ دَيْنٌ، فَأَتَيْتُهُ أَتَقَاضَاهُ، قَالَ: لَا أُعْطِيكَ حَتَّىٰ تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ.

فَقُلْتُ: لَا أَكْفُرُ حَتَّىٰ يُمِيتَكَ اللهُ ثُمَّ تُبْعَثُ.

قَالَ: دَعْنِي حَتَّىٰ أَمُوتَ وَأُبْعَثَ فَسَأُوتَىٰ مَالًا وَوَلَدًا فَأَقْضِيَكَ!!

---

(١) «**صحيح البخاري**»: (٤/ ٢٨٧- ٢٨٨، رقم ٢٠٤٧)، و«**صحيح مسلم**»: (٤/ ١٩٣٩، رقم ٢٤٩٢).

(٢) «**صحيح البخاري**»: (٤/ ٢٨٨، رقم ٢٠٤٨و٢٠٤٩)، و«**صحيح مسلم**»: (٢/ ١٠٤٢، رقم ١٤٢٧).

فَنَزَلَتْ: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾﴾ [مريم: ٧٧-٧٨]». هَذَا الْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(١).

وَ«الْقَيْنُ»: الْحَدَّادُ؛ فَكَانَ يَعْمَلُ بِهَذِهِ الْحِرْفَةِ، وَكَانَ يَتَّخِذُ هَذَا الْعَمَلَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ رضي الله عنه.

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها **قَالَتْ**: «كَانَتْ زَيْنَبُ -تَعْنِي بِنْتَ جَحْشٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَعَنْ عَائِشَةَ وَعَنْ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ- امْرَأَةً صَنَاعَ الْيَدِ(٢)؛ فَكَانَتْ تَدْبُغُ وَتَخْرُزُ(٣) وَتَتَصَدَّقُ بِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ»(٤).

إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَحَادِيثِ وَالْآثَارِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَىٰ عَمَلِهِمْ -رَضِيَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَنْهُمْ-»(٥).(*).

---

(١) «**صحيح البخاري**»: (٤/ ٣١٧، رقم ٢٠٩١)، و«**صحيح مسلم**»: (٤/ ٢١٥٣، رقم ٢٧٩٥).

(٢) «**صَنَاعَ الْيَدِ**» بفتح الصاد، ويجوز كسرها؛ أي: حاذِقةٌ ماهِرة بِعَمَلِ الْيَد.

(٣) «**تَدْبُغُ وَتَخْرُزُ**»؛ **أي**: تعمل في دباغة الجلود وخياطتها.

(٤) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (٣/ ٢٨٥-٢٨٦، رقم ١٤٢٠)، ومسلم في «**الصحيح**»: (٤/ ١٩٠٧، رقم ٢٤٥٢) مختصرًا.

وأخرجه -أيضًا- الحاكم في «**المستدرك**»: (٤/ ٢٥، رقم ٦٧٧٦)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرْطِ مُسْلِمٍ»، واللفظ له.

(٥) «**تمام المنة**»: (٣/ ٢٨٠-٢٨٣).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «مِنْ آدَابِ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ» - الْأَرْبِعَاءُ ٢ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣١هـ| ١٤-٧-٢٠١٠م.

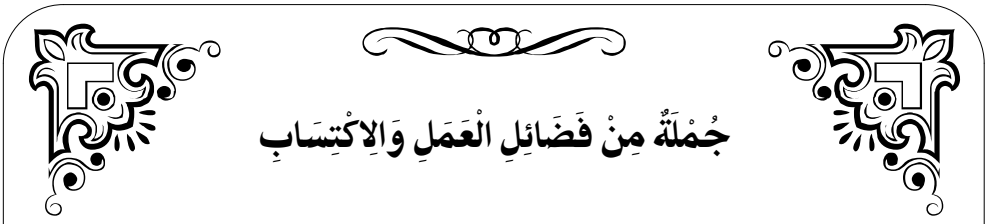

جُمْلَةٌ مِنْ فَضَائِلِ الْعَمَلِ وَالِاكْتِسَابِ

لَقَدْ دَلَّ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ عَلَىٰ فَضْلِ الِاكْتِسَابِ؛ «فَفِي الِاكْتِسَابِ وَالْعَمَلِ فَوَائِدُ كَثِيرَةٌ:

* فِيهِ: مَعْنَىٰ التَّوَكُّلِ عَلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

* وَفِيهِ: طَلَبُ الْفَضْلِ مِنْهُ؛ ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠].

* وَأَيْضًا، يُسْتَعَانُ بِالِاكْتِسَابِ عَلَىٰ الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللهِ؛ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

* وَبِالِاكْتِسَابِ يَتَعَفَّفُ الْإِنْسَانُ عَنْ ذُلِّ السُّؤَالِ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَىٰ ظَهْرِهِ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ». وَهَذَا الْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(١).

* وَفِي الِاكْتِسَابِ: الِانْشِغَالُ عَنِ الْبَطَالَةِ وَاللَّهْوِ، قَالَ الْحَافِظُ رَحِمَهُ اللهُ(٢): «وَمِنْ فَضْلِ الْعَمَلِ بِالْيَدِ الشُّغْلُ بِالْأَمْرِ الْمُبَاحِ عَنِ الْبَطَالَةِ وَاللَّهْوِ، وَفِيهِ كَسْرُ

(١) تقدم تخريجه.

(٢) «فتح الباري» لابن حجر: (٤/ ٣٠٤).

النَّفْسِ بِذَلِكَ».

* **وَمِنْ فَضَائِلِ الِاكْتِسَابِ: أَنَّ فِي الْعَمَلِ قُوَّةً لِلْأُمَّةِ لِكَثْرَةِ إِنْتَاجِهَا، وَإِغْنَاءِ أَفْرَادِهَا**؛ فَيَعُودُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ بِالِاسْتِقْرَارِ النَّفْسِيِّ، وَالرِّعَايَةِ الصِّحَّيَّةِ، وَاسْتِغْنَائِهَا عَنْ أَعْدَائِهَا، وَالْمَهَابَةِ لَهَا فِي أَعْيُنِهِمْ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْحِكَمِ وَالْفَوَائِدِ الَّتِي تَعُودُ عَلَىٰ الْأُمَّةِ»(١). (*).

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ الْإِسْلَامَ يَدْعُو الْمُؤْمِنِينَ بِهِ إِلَىٰ الْعَمَلِ، وَيَحُثُّهُمْ عَلَىٰ السَّعْيِ وَالتَّكَسُّبِ، فَهُوَ دِينٌ يُؤَكِّدُ عَلَىٰ الْحَرَكَةِ وَالْحَيَوِيَّةِ، وَيَذُمُّ الْكَسَلَ وَالْخُمُولَ وَالِاتِّكَالِيَّةَ؛ إِذْ لَا مَكَانَ فِيهِ لِلِاسْتِرْخَاءِ وَالْبَطَالَةِ، وَالِاعْتِمَادِ عَلَىٰ الْآخَرِينَ وَاسْتِجْدَائِهِمْ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَىٰ الِاسْتِغْنَاءِ عَنْهُمْ.

فَالْإِسْلَامُ دِينُ عِبَادَةٍ وَعَمَلٍ، يَحُثُّ الْجَمِيعَ عَلَىٰ الْإِنْتَاجِ وَالْإِبْدَاعِ، وَيَهِيبُ بِفِئَاتِ الْمُجْتَمَعِ كَافَّةً أَنْ تَنْهَضَ وَتَعْمَلَ بِإِتْقَانٍ، وَيَقُومَ كُلٌّ بِدَوْرِهِ الَّذِي أَقَامَهُ اللهُ فِيهِ؛ لِنَفْعِ الْأُمَّةِ وَإِفَادَتِهَا. (*/٢).

(١) «تمام المنة» (٣/ ٢٧٩-٢٨٠).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «مِنْ آدَابِ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ» - الْأَرْبِعَاءُ ٢ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣١هـ| ١٤-٧-٢٠١٠م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِاخْتِصَارٍ يَسِيرٍ مِنْ خُطْبَة: «انْتِصَارَاتُ الْمُسْلِمِينَ فِي رَمَضَانَ» - الْجُمُعَةُ ٩ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٩هـ| ٢٥-٥-٢٠١٨م.

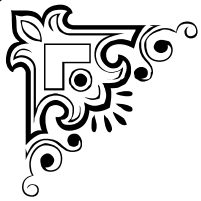

التِّجَارَةُ فِي الْإِسْلَامِ

«إِنَّ التِّجَارَةَ شَأْنُهَا عَظِيمٌ، وَقَدْ نَدَبَ إِلَيْهَا الْإِسْلَامُ، وَعَظَّمَ شَأْنَهَا، وَأَثْنَىٰ عَلَىٰ أَهْلِهَا الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ اسْتَقَامُوا وَحَافَظُوا عَلَىٰ مَا أَوْجَبَ اللهُ، وَابْتَعَدُوا عَمَّا حَرَّمَ اللهُ ﷻ.

وَالتِّجَارَةُ هِيَ مِنْ أَهَمِّ أَعْمَالِ الْمُسْلِمِينَ، وَهِيَ مِنْ أَهَمِّ طُرُقِ الْكَسْبِ، وَهِيَ عَمَلُ الْمُهَاجِرِينَ؛ لَمَّا هَاجَرَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ مَكَّةَ وَغَيْرِهَا إِلَىٰ الْمَدِينَةِ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- اشْتَغَلُوا بِالتِّجَارَةِ، وَكَانَ الْأَنْصَارُ رضي الله عنهم يَشْتَغِلُونَ بِالزِّرَاعَةِ.

وَآخَىٰ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ -رَضِيَ اللهُ عَنِ الْجَمِيعِ-، فَقَالَ الْأَنْصَارُ: «نَحْنُ نَكْفِيكُمُ الْمَؤُونَةَ، وَنَشْرَكُكُمْ فِي الثَّمَرَةِ»(١).

فَصَارَ الْأَنْصَارُ يَعْمَلُونَ وَيُسَاعِدُونَ الْمُهَاجِرِينَ مِنَ الثَّمَرَةِ؛ حَتَّىٰ قَالَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيُّ رضي الله عنه لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ لَمَّا آخَىٰ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، آخَىٰ بَيْنَهُمَا النَّبِيُّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، قَالَ سَعْدٌ: «يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ! أَنْزِلُ لَكَ عَنْ نِصْفِ مَالِي، وَأَنْزِلُ لَكَ عَنْ إِحْدَىٰ زَوْجَتَيَّ».

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (٥/ ٨، رقم ٢٣٢٥).

عِنْدَهُ زَوْجَتَانِ، قَالَ: «أَنْزِلُ عَنْ إِحْدَاهُمَا، فَإِذَا اعْتَدَّتْ تَأْخُذُهَا تَتَزَوَّجُهَا».

فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: «بَارَكَ اللهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، دُلُّونِي عَلَىٰ السُّوقِ، فَذَهَبَ وَاشْتَرَىٰ مَا تَيَسَّرَ مِنْ سَمْنٍ وَأَقِطٍ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَبِيعُ وَيَشْتَرِي حَتَّىٰ يَسَّرَ اللهُ لَهُ الْمَالَ الْكَثِيرَ، وَتَزَوَّجَ»(١)، وَحَصَلَ عِنْدَهُ خَيْرٌ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَزَلْ فِي أَرْبَاحٍ مِنَ التِّجَارَةِ، ثُمَّ مِنَ الْغَنَائِمِ حَتَّىٰ صَارَ مِنْ أَغْنَىٰ النَّاسِ»(٢).

«**التِّجَارَةُ**: هِيَ الْبَيْعُ وَالشِّرَاءُ، وَقَدْ ذَكَرَهَا اللهُ ﷻ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ؛ مِنْهَا:

قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [النساء: ٢٩].

قَالَ الْإِمَامُ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ(٣): «..عَنْ قَتَادَةَ قَوْلُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾؛ قَالَ:

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) مختصر من مقال: «**عظم شأن التجارة في الإسلام**» للشيخ العلامة الإمام: عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ.

(٣) «**تفسير الطبري**» (٥/ ٣٢).

التِّجَارَةُ: رِزْقٌ مِنْ رِزْقِ اللهِ، وَحَلَالٌ مِنْ حَلَالِ اللهِ لِمَنْ طَلَبَهَا بِصِدْقِهَا وَبِرِّهَا، وَقَدْ كُنَّا نُحَدَّثُ أَنَّ التَّاجِرَ الْأَمِينَ الصَّدُوقَ مَعَ السَّبْعَةِ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ(١): ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ﴾؛ كَأَنَّهُ يَقُولُ: لَا تَتَعَاطَوُا الْأَسْبَابَ الْمُحَرَّمَةَ فِي اكْتِسَابِ الْأَمْوَالِ، وَلَكِنِ الْمَتَاجِرُ الْمَشْرُوعَةُ الَّتِي تَكُونُ عَنْ تَرَاضٍ مِنَ الْبَائِعِ وَالْمُشْتَرِي، فَافْعَلُوهَا، وَتَسَبَّبُوا(٢) بِهَا فِي تَحْصِيلِ الْأَمْوَالِ».

وَمِنْهَا: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

وَمِنْهَا: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰۙ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾ [المزمل: ٢٠].

قَالَ الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ(٣): «سَوَّىٰ اللهُ -تَعَالَىٰ- فِي هَذِهِ الْآيَةِ بَيْنَ دَرَجَةِ الْمُجَاهِدِينَ وَالْمُكْتَسِبِينَ الْمَالَ الْحَلَالَ لِلنَّفَقَةِ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَعِيَالِهِ، وَالْإِحْسَانِ وَالْإِفْضَالِ، فَكَانَ هَذَا دَلِيلًا عَلَىٰ أَنَّ كَسْبَ الْمَالِ بِمَنْزِلَةِ الْجِهَادِ؛ لِأَنَّهُ جَمَعَهُ مَعَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ».

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٢٣٩).

(٢) تَسَبَّبُوا بِهَا: الْتَمِسُوا بِهَا الْأَسْبَابَ وَاتَّخِذُوهَا وَسِيلَةً لِتَحْصِيلِ الرِّزْقِ الْحَلَالِ.

(٣) «تفسير القرطبي» (١٩/ ٣٧).

وَمِنْهَا: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الجمعة: ١٠].

وَقَدْ وَصَفَ اللهُ ﷻ الْبَيْعَ بِأَنَّهُ حَلَالٌ فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

وَقَالَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ(١): «بَابٌ: صَدَقَةُ الْكَسْبِ وَالتِّجَارَةِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾ [البقرة: ٢٦٧]».

وَقَالَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ -أَيْضًا-(٢): «بَابٌ: الْخُرُوجُ فِي التِّجَارَةِ وَقَوْلُ اللهِ -تَعَالَىٰ-: ﴿فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ﴾ [الجمعة: ١٠]».

وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ النُّصُوصِ مِنْ كِتَابِ اللهِ ﷻ.

وَوَرَدَ فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ فِي التِّجَارَةِ؛ مِنْهَا: مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ بِإِسْنَادِهِ(٣) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَتْ عُكَاظٌ ومَجَنَّةُ وَذُو الْمَجَازِ أَسْوَاقًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا كَانَ الْإِسْلَامُ تَأَثَّمُوا مِنَ التِّجَارَةِ فِيهَا، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ﴾ [البقرة: ١٩٨] فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ».

---

(١) «صحيح البخاري» (٢/ ١١٥) ط. دار طوق النجاة.

(٢) «صحيح البخاري» (٣/ ٥٥).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٢٠٥٠).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا رَأَىٰ مُعْسِرًا قَالَ لِفِتْيَانِهِ: تَجَاوَزُوا عَنْهُ؛ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَتَجَاوَزَ اللهُ عَنْهُ**»(١). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَعَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي غَرَزَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ نُسَمَّىٰ السَّمَاسِرَةَ، فَقَالَ: «**يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ! إِنَّ الشَّيْطَانَ وَالْإِثْمَ يَحْضُرَانِ الْبَيْعَ؛ فَشُوبُوا(٢) بَيْعَكُمْ بِالصَّدَقَةِ**»(٣). رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: «حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الْأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ، وَالصِّدِّيقِينَ، وَالشُّهَدَاءِ**»(٤). رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: «حَدِيثٌ حَسَنٌ».

---

(١) أخرجه البخاري في «**صحيحه**» (٣٤٨٠).

(٢) (**فَشُوبُوا**) أَمْرٌ مِنَ (الشَّوْبِ)، بِمَعْنَىٰ: الْخَلْطِ، أَيْ: اخْلِطُوا.

(٣) أخرجه أبو داود في «**السنن**»: (٣/ ٢٤٢، رقم ٣٣٢٦)، والترمذي في «**الجامع**»: (٣/ ٥٠٥، رقم ١٢٠٨)، والنسائي في «**المجتبىٰ**»: (٧/ ١٤-١٥)، وابن ماجه في «**السنن**»: (٢/ ٧٢٦، رقم ٢١٤٥)، من حديث: قَيْسِ بْنِ أَبِي غَرَزَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال الترمذي: «هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وكذا صحح إسناده الألباني في هامش «**مشكاة المصابيح**»: (٢/ ٨٥١، رقم ٢٧٩٨).

(٤) «**الجامع**»: (٣/ ٥٠٦، رقم ١٢٠٩)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ».

والحديث صححه لغيره الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (٢/ ٣٤٢، رقم ١٧٨٢).

قَالَ الطِّيبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «فَمَنْ تَحَرَّىٰ الصِّدْقَ وَالْأَمَانَةَ فِي تِجَارَتِهِ كَانَ فِي زُمْرَةِ الْأَبْرَارِ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ، وَمَنْ تَوَخَّىٰ خِلَافَهُمَا كَانَ فِي قَرَنِ الْفُجَّارِ مِنَ الْفَسَقَةِ وَالْعَاصِينَ».

«السُّوقُ.. كَانَ يَتَعَاهَدُهُ الْفُضَلَاءُ مِنَ الصَّحَابَةِ؛ لِتَحْصِيلِ الْمَعَاشِ لِلْكَفَافِ، وَلِلتَّعَفُّفِ عَنِ النَّاسِ»(٢)»(٣).

❀❀❀

(١) «**شرح الطيبي علىٰ المشكاة**» (٧/ ٢١١٩).

(٢) «**فتح الباري**» (٤/ ٤٢٩).

(٣) مختصر من كتاب: «**فقه التاجر المسلم**» (ص: ١٤-١٩).

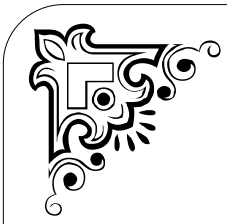

عَمَلُ النَّبِيِّ ﷺ بِالتِّجَارَةِ

فِي الْخَامِسَةِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ عُمْرِ النَّبِيِّ الْمُبَارَكِ ﷺ خَرَجَ تَاجِرًا إِلَىٰ الشَّامِ فِي مَالِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَكَانَتْ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ امْرَأَةً تَاجِرَةً ذَاتَ شَرَفٍ وَمَالٍ، تَسْتَأْجِرُ الرِّجَالَ فِي مَالِهَا وَتُضَارِبُهُمْ -أَيْ: تُضَارِبُهُمْ فِي ذَلِكَ الْمَالِ، وَالْمُضَارَبَةُ: أَنْ تُعْطِيَ مَالًا لِغَيْرِكَ يَتَّجِرُ فِيهِ، فَيَكُونُ لَهُ سَهْمٌ مَعْلُومٌ مِنَ الرِّبْحِ، وَالْمُضَارَبَةُ: مُفَاعَلَةٌ مِنَ الضَّرْبِ فِي الْأَرْضِ، وَالسَّيْرِ فِيهَا لِلتِّجَارَةِ-.

فَكَانَتْ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ امْرَأَةً تَاجِرَةً ذَاتَ شَرَفٍ وَمَالٍ، تَسْتَأْجِرُ الرِّجَالَ فِي مَالِهَا، وَتُضَارِبُهُمْ إِيَّاهُ بِشَيْءٍ تَجْعَلُهُ لَهُمْ، فَلَمَّا بَلَغَهَا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا بَلَغَهَا مِنْ صِدْقِ حَدِيثِهِ، وَعِظَمِ أَمَانَتِهِ، وَكَرَمِ أَخْلَاقِهِ بَعَثَتْ إِلَيْهِ، فَعَرَضَتْ عَلَيْهِ أَنْ يَخْرُجَ فِي مَالِهَا إِلَىٰ الشَّامِ تَاجِرًا، وَتُعْطِيَهُ أَفْضَلَ مَا كَانَتْ تُعْطِي غَيْرَهُ مِنَ التُّجَّارِ، فَقَبِلَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْهَا.

وَفِي رِوَايَةٍ: أَنَّ أَبَا طَالِبٍ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «أَنَا رَجُلٌ لَا مَالَ لِي، وَقَدِ اشْتَدَّ الزَّمَانُ عَلَيْنَا، وَهَذِهِ عِيرُ قَوْمِكَ، وَقَدْ حَضَرَ خُرُوجُهَا إِلَىٰ الشَّامِ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ تَبْعَثُ رِجَالًا مِنْ قَوْمِكَ فِي عِيرَاتِهَا -جَمْعُ عِيرٍ، وَهِيَ الْإِبِلُ بِأَحْمَالِهَا- فَلَوْ جِئْتَهَا، فَعَرَضْتَ نَفْسَكَ عَلَيْهَا لَأَسْرَعَتْ إِلَيْكَ؛ لِمَا يَبْلُغُهَا عَنْكَ مِنْ طَهَارَتِكَ، وَفَضْلِكَ عَلَىٰ غَيْرِكَ».

فَبَلَغَ خَدِيجَةَ الْخَبَرُ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ، وَقَالَتْ لَهُ: «أَنَا أُعْطِيكَ ضِعْفَ مَا أُعْطِي رَجُلًا مِنْ قَوْمِكَ».

فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: «هَذَا رِزْقٌ قَدْ سَاقَهُ اللهُ إِلَيْكَ!».

ثُمَّ خَرَجَ ثَانِيًا ﷺ فِي تِجَارَةٍ لِخَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ، يَعْنِي: بَعْدَمَا خَرَجَ أَوَّلًا مَعَ عَمِّهِ إِلَىٰ الشَّامِ، خَرَجَ ثَانِيًا إِلَىٰ الشَّامِ فِي تِجَارَةٍ لِخَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مَعَ غُلَامِهَا (مَيْسَرَةَ) عَلَىٰ سَبِيلِ الْقِرَاضِ -وَالْقِرَاضُ: الْمُضَارَبَةُ-، فَرَأَىٰ مَيْسَرَةُ مَا بَهَرَهُ مِنْ شَأْنِهِ، فَرَجَعَ فَأَخْبَرَ سَيِّدَتَهُ خَدِيجَةَ بِمَا رَأَىٰ، فَرَغِبَتْ إِلَيْهِ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا؛ لِمَا رَجَتْ فِي ذَلِكَ مِنَ الْخَيْرِ الَّذِي جَمَعَهُ اللهُ لَهَا، وَفَوْقَ مَا يَخْطُرُ بِبَالِ بَشَرٍ.

فَتَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَهُ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً، وَهِيَ أُولَىٰ زَوْجَاتِهِ، وَلَمْ يَتَزَوَّجْ عَلَيْهَا حَتَّىٰ مَاتَتْ، وَكَانَ ﷺ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَيُظْهِرُ حُبَّهَا، وَيَتَأَثَّرُ لِذِكْرَاهَا، وَيَنْبَسِطُ لِمَنْ يَذْكُرُهَا عِنْدَهُ، وَيُذَكِّرُهُ بِهَا.(*)

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ» - الِاثْنَيْنِ ٣٠ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٩هـ| ١٠-٩-٢٠١٨م.

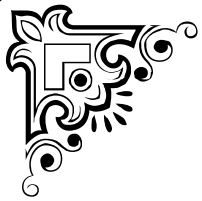

صِفَاتُ التَّاجِرِ الْأَمِينِ

«إِنَّ التِّجَارَةَ فِي الْإِسْلَامِ تَحْكُمُهَا ضَوَابِطُ وَقِيَمٌ أَخْلَاقِيَّةٌ يَنْبَغِي لِلتُّجَّارِ التَّحَلِّي بِهَا، وَهَذِهِ الضَّوَابِطُ وَالْقِيَمُ مُسْتَمَدَّةٌ مِنْ كِتَابِ اللهِ -تَعَالَىٰ-، وَمِنْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَمِنْ سِيَرِ الصَّحَابَةِ وَالسَّلَفِ فِي تَعَامُلِهِمُ التِّجَارِيِّ.

لَقَدْ أَمَرَ اللهُ -تَعَالَىٰ- بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ جَمِيعًا، وَالْعَدْلُ سَبَبُ النَّجَاةِ فَقَطْ، وَهُوَ يَجْرِي مِنَ التُّجَّارِ مَجْرَىٰ رَأْسِ الْمَالِ، وَالْإِحْسَانُ سَبَبُ الْفَوْزِ وَنَيْلِ السَّعَادَةِ، وَهُوَ يَجْرِي مِنَ التِّجَارَةِ مَجْرَىٰ الرِّبْحِ، وَلَا يُعَدُّ مِنَ الْعُقَلَاءِ مَنْ قَنَعَ فِي مُعَامَلَاتِ الدُّنْيَا بِرَأْسِ مَالِهِ، فَكَذَا فِي مُعَامَلَاتِ الْآخِرَةِ، فَلَا يَنْبَغِي لِلْمُتَدَيِّنِ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَىٰ الْعَدْلِ وَاجْتِنَابِ الظُّلْمِ، وَيَدَعَ أَبْوَابَ الْإِحْسَانِ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧]، وَقَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠]، وَقَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف: ٥٦]، وَنَعْنِي بِالْإِحْسَانِ: فِعْلَ مَا يَنْتَفِعُ بِهِ الْعَامِلُ، وَهُوَ غَيْرُ وَاجِبٍ عَلَيْهِ؛ وَلَكِنَّهُ تَفَضُّلٌ مِنْهُ، فَإِنَّ الْوَاجِبَ يَدْخُلُ فِي بَابِ الْعَدْلِ وَتَرْكِ الظُّلْمِ»[1].

---

(١) مختصر من كتاب: «**فقه التاجر المسلم**» (ص: ٢١١).

«إِنَّ التَّاجِرَ الصَّادِقَ مَعَ اللهِ وَمَعَ نَفْسِهِ هُوَ الَّذِي يُوَازِنُ بَيْنَ أُمُورِ الدُّنْيَا وَأُمُورِ الْآخِرَةِ، فَيُعْطِي كُلًّا حَقَّهُ، وَقَدْ أَثْنَىٰ اللهُ ﷻ عَلَىٰ الَّذِينَ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ، وَلَا عَنْ شَيْءٍ مِنَ الْوَاجِبَاتِ، فَقَالَ: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور: ٣٧].

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ(١): «قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ﴾ أَيْ: لَا تَشْغَلُهُمْ ﴿تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾؛ خَصَّ التِّجَارَةَ بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهَا أَعْظَمُ مَا يَشْتَغِلُ بِهَا الْإِنْسَانُ عَنِ الصَّلَاةِ ﴿عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾؛ اخْتُلِفَ فِي تَأْوِيلِهِ؛ فَقَالَ عَطَاءٌ: يَعْنِي: حُضُورَ الصَّلَاةِ، وَقَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَالَ: الْمَكْتُوبَةُ، وَقِيلَ: عَنِ الْأَذَانِ؛ ذَكَرَهُ يَحْيَىٰ بْنُ سَلَّامٍ، وَقِيلَ: عَنْ ذِكْرِهِ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ؛ أَيْ: يُوَحِّدُونَهُ وَيُمَجِّدُونَهُ.

وَالْآيَةُ نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الْأَسْوَاقِ؛ قَالَهُ ابْنُ عُمَرَ، قَالَ سَالِمٌ: جَازَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بِالسُّوقِ وَقَدْ أَغْلَقُوا حَوَانِيتَهُمْ وَقَامُوا لِيُصَلُّوا فِي جَمَاعَةٍ، فَقَالَ: فِيهِمْ نَزَلَتْ: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ﴾ الْآيَةَ.

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**هُمُ الَّذِينَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ**».

وَقِيلَ: إِنَّ رَجُلَيْنِ كَانَا فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، أَحَدُهُمَا بَيَّاعًا، فَإِذَا سَمِعَ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ؛ فَإِنْ كَانَ الْمِيزَانُ بِيَدِهِ طَرَحَهُ وَلَا يَضَعُهُ وَضْعًا، وَإِنْ كَانَ بِالْأَرْضِ لَمْ

(١) «تفسير القرطبي» (١٢/ ٢٧٩-٢٨٠).

يَرْفَعُهُ، وَكَانَ الْآخَرُ قَيْنًا يَعْمَلُ السُّيُوفَ لِلتِّجَارَةِ، فَكَانَ إِذَا كَانَتْ مَطْرَقَتُهُ عَلَىٰ السِّنْدَانِ أَبْقَاهَا مَوْضُوعَةً، وَإِنْ كَانَ قَدْ رَفَعَهَا أَلْقَاهَا مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ إِذَا سَمِعَ الْأَذَانَ، فَأَنْزَلَ اللهُ -تَعَالَىٰ- هَذَا؛ ثَنَاءً عَلَيْهِمَا وَعَلَىٰ كُلِّ مَنِ اقْتَدَىٰ بِهِمَا.

قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾: هَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ غَيْرُ الصَّلَاةِ؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ تِكْرَارًا.

قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ قِيلَ: الزَّكَاةُ الْمَفْرُوضَةُ؛ قَالَهُ الْحَسَنُ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الزَّكَاةُ هُنَا طَاعَةُ اللهِ -تَعَالَىٰ- وَالْإِخْلَاصُ؛ إِذْ لَيْسَ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ مَالٌ.

﴿يَخَافُونَ يَوْمًا﴾: يَعْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ يَعْنِي: مِنْ هَوْلِهِ وَحَذَرِ الْهَلَاكِ» »[1].

لِلتَّاجِرِ الْأَمِينِ صِفَاتٌ حَمِيدَةٌ وَخِصَالٌ شَرِيفَةٌ يَنْبَغِي أَنْ يَتَحَلَّى بِهَا؛ مِنْهَا:

إِخْلَاصُ النِّيَّةِ: فَعَلَيْهِ أَنْ يُخْلِصَ نِيَّتَهُ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ لِإِعْفَافِ نَفْسِهِ، وَالنَّفَقَةِ عَلَىٰ عِيَالِهِ، وَإِعْزَازِ الْمُسْلِمِينَ بِكَثْرَةِ ثَرْوَاتِهِمْ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا يُؤْجَرُ بِهِ الْعَبْدُ، وَلَا يَكُونُ هَمُّهُ جَمْعَ الْأَمْوَالِ تَكُثُّرًا وَبَطَرًا وَأَشَرًا وَإِعْجَابًا.

فَطَلَبُ الْكَسْبِ وَطَلَبُ الرِّبْحِ وَالْمَالِ هَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مُؤَسَّسًا عَلَىٰ نِيَّةٍ صَالِحَةٍ، وَذَلِكَ لِإِعْفَافِ نَفْسِهِ، وَالنَّفَقَةِ عَلَىٰ عِيَالِهِ، وَلِإِعْزَازِ الْمُسْلِمِينَ

---

(١) مختصر من كتاب: «**فقه التاجر المسلم**» (ص: ٢٠).

بِكَثْرَةِ ثَرْوَاتِهِمْ، وَلِحِيَاطَةِ الْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْمُحْتَاجِينَ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُؤْجَرُ بِهِ الْعَبْدُ.(*).

مِنْ صِفَاتِ التَّاجِرِ الصَّادِقِ الْأَمِينِ: لُزُومُ ذِكْرِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ فَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ دَخَلَ السُّوقَ فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ؛ كَتَبَ اللهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ، وَرَفَعَهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ**» »(٢). خَرَّجَهُ التِّرْمِذِيُّ(٣)، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ بِمَجْمُوعِ طُرُقِهِ.

«**مَنْ دَخَلَ السُّوقَ...**»: قَالَ الطِّيبِيُّ(٤): «خَصَّهُ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُ مَكَانُ الْغَفْلَةِ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَالِاشْتِغَالِ بِالتِّجَارَةِ؛ فَهُوَ مَوْضِعُ سَلْطَنَةِ الشَّيْطَانِ، وَمَجْمَعُ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «مِنْ آدَابِ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ» - الْأَرْبِعَاءُ ٢ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣١هـ| ١٤-٧-٢٠١٠م.

(٢) «**ضوابط الأسواق وآدابها**»: (ص٢-٣) بتصرف، خطبة وزارة الأوقاف المصرية لتاريخ: ٦/ شعبان/ ١٤٤٠هـ، الموافق: ١٢/ إبريل/ ٢٠١٩م، المنشورة علىٰ موقعها الالكتروني: http://ar.awkafonline.com/?cat=20

(٣) أخرجه الترمذي في «**الجامع**»: (٥/ ٤٩١، رقم ٣٤٢٨)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ». والحديث حسنه لغيره الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (٢/ ٣٠٩، رقم ١٦٩٤).

(٤) شرح «**مشكاة المصابيح**»: (٦/ ١٨٩٩، رقم ٢٤٣١)، ونقله عنه الملا علي القاري في «**مرقاة المفاتيح**»: (٤/ ١٦٨٧، رقم ٢٤٣١) بتصرف، وهو المثبت.

جُنُودِهِ، فَالذَّاكِرُ هُنَاكَ يُحَارِبُ الشَّيْطَانَ وَيَهْزِمُ جُنُودَهُ، فَهُوَ خَلِيقٌ بِمَا ذُكِرَ مِنَ الثَّوَابِ».(*).

وَمِنْ صِفَاتِ التَّاجِرِ الْأَمِينِ: الْأَخْذُ بِالْأَسْبَابِ؛ وَذَلِكَ بِالدِّرَاسَةِ الْجَيِّدَةِ لِإِتْقَانِ مِهْنَةِ الْعَمَلِ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ فِيهِ، وَمَعْرِفَةِ إِيجَابِيَّاتِهِ وَسَلْبِيَّاتِهِ، وَمُشَاوَرَةِ أَهْلِ الْخِبْرَةِ فِيهِ، وَاتِّخَاذِ أَحْسَنِ السُّبُلِ الَّتِي فِي مَقْدُورِهِ لِتَحْصِيلِ أَحْسَنِ النَّتَائِجِ بِمُزَاوَلَةِ ذَلِكَ الْعَمَلِ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ -كَمَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ(٢)-: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزْ، فَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا لَكَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ (لَوْ) تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**».

فَيَأْخُذُ بِالْأَسْبَابِ مُتَوَكِّلًا عَلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خَالِقِهَا.

وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ: «**وَاسْتَعِنْ بِاللهِ**»، فَمَنْ أَخَذَ بِالْأَسْبَابِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مُعْتَمِدًا عَلَىٰ رَبِّ الْأَسْبَابِ، لَا أَنْ يَكُونَ مُعْتَمِدًا عَلَىٰ هَذِهِ الْأَسْبَابِ، بَلْ يَكُونُ مُتَوَكِّلًا وَمُسْتَعِينًا بِاللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، مُعَلِّقًا قَلْبَهُ بِرَبِّهِ لِتَحْصِيلِ الرِّزْقِ، ﴿**وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ**﴾ [الطلاق: ٣].

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِن: «شَرْحُ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ» (الْمُحَاضَرَةُ الرَّابِعَةُ وَالثَّمَانُونَ: فَصْلٌ فِي دُخُولِ السُّوقِ)، الْأَرْبِعَاءُ ٢٦ مِنْ صَفَرٍ ١٤٣٩هـ| ١٥-١١-٢٠١٧م.

(٢) أخرجه مسلم في «**الصحيح**»: (٤/ ٢٠٥٢، رقم ٢٦٦٤)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَمِنْ صِفَاتِ التَّاجِرِ الْأَمِينِ: عَدَمُ الِانْشِغَالِ بِتِجَارَتِهِ عَنِ الطَّاعَاتِ، بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مُدَاوِمًا عَلَىٰ التَّقْوَىٰ، وَهِيَ مِنْ أَقْوَىٰ الْأَسْبَابِ فِي تَحْصِيلِ الْأَرْزَاقِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾ [الطلاق: ٢-٣].

وَقَدْ أَثْنَىٰ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَوٰةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ۝٣٧﴾ [النور: ٣٧]، وَذَمَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ آخَرِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ۝١١﴾ [الجمعة: ١١].

قَالَ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **-فِيمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ**(١)-: «لَا تَكُونَنَّ إِنِ اسْتَطَعْتَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ السُّوقَ، وَلَا آخِرَ مَنْ يَخْرُجُ مِنْهَا، فَإِنَّهَا مَعْرَكَةُ الشَّيْطَانِ، وَفِيهَا يَنْصِبُ رَايَتَهُ». (*).

وَقَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ

---

(١) أخرجه مسلم في «**الصحيح**»: (٤/ ١٩٠٦، رقم ٢٤٥١).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «مِنْ آدَابِ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ» - الْأَرْبِعَاءُ ٢ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣١هـ| ١٤-٧-٢٠١٠م.

فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٠﴾ [الجمعة: ٩-١٠].(*).

وَمِنْ صِفَاتِ التَّاجِرِ الْأَمِينِ: طَلَبُ الرِّزْقِ الْحَلَالِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المائدة: ١٠٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾ [البقرة: ١٦٨].

وَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الْمُعْجَمِ الْكَبِيرِ»: عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه -وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ وَلَهُ شَوَاهِدُ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّىٰ تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا وَأَجَلَهَا، فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ**»(٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «آدَابُ الطَّرِيقِ وَالسُّوقِ وَالْعُطَاسِ وَعِيَادَةِ الْمَرِيضِ» - الْأَحَدُ ١٥ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٥هـ| ١٣-٧-٢٠١٤م.

(٢) أخرجه الطبراني في «**المعجم الكبير**»: (٨/ ١٩٤، رقم ٧٦٩٤)، وأبو نعيم في «**حلية الأولياء**»: (١٠/ ٢٦)، من حديث: أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ رَوْحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِيَ أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّىٰ تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ وَلَا يَحْمِلَنَّ أَحَدَكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةٍ فَإِنَّ اللهَ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ**».

والحديث صححه بشواهده الألباني في تخريج «**مشكلة الفقر**»: (ص١٩-٢٠، رقم ١٥)، وفي «**صحيح الجامع**»: (١/ ٤١٩-٤٢٠، رقم ٢٠٨٥)، وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه، مرفوعا، بنحوه

وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ**(١) **لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ**(٢)**، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ**(٣)**، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى**(٤) **يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**». وَهَذَا الْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(٥).

وَوَرَدَ الذَّمُّ فِيمَنْ لَا يُبَالِي مَنْ أَيْنَ أَصَابَ الْمَالَ؛ مِنْ حِلٍّ أَوْ حَرَامٍ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُبَالِي الْمَرْءُ مَا أَخَذَ؛**

---

(١) «**مُشْتَبِهَاتٌ**» بِوَزْنِ مُفْتَعِلَاتٍ، وفي رواية: «**مُشَبَّهَاتٌ**» بِوَزْنِ مُفَعَّلَاتٍ، أَيْ: شُبِّهَتْ بِغَيْرِهَا مِمَّا لَمْ يَتَبَيَّنْ بِهِ حُكْمُهَا عَلَى التَّعْيِينِ.

(٢) (**اسْتَبْرَأَ**)، أَيْ: بَرَّأَ دِينَهُ مِنَ النَّقْصِ وَعِرْضَهُ مِنَ الطَّعْنِ فِيهِ، و(**العِرض**) هو موضع الذم والمدح من الإنسان.

وفي رواية للبخاري: «**فَمَنْ تَرَكَ مَا شُبِّهَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ، كَانَ لِمَا اسْتَبَانَ أَتْرَكَ**»، أي: أكثر تركا لما وضح وظَهَرَ تَحْرِيمُهُ.

(٣) وفي رواية للبخاري: «**وَمَنِ اجْتَرَأَ عَلَى مَا يَشُكُّ فِيهِ مِنَ الإِثْمِ، أَوْشَكَ أَنْ يُوَاقِعَ مَا اسْتَبَانَ**»، أي: ما ظَهَرَ تَحْرِيمُهُ.

(٤) (**الْحِمَى**): أَمَاكِنَ مَحْمِيّة مُخْتَصَّةً بالملك لرعي مواشيه وما أشبه، يَتَوَعَّد مَنْ يَرْعَى فِيهَا بِغَيْرِ إِذْنِهِ بِالْعُقُوبَةِ الشَّدِيدَةِ.

(٥) «**صحيح البخاري**»: (١/ ١٢٦، رقم ٥٢)، و«**صحيح مسلم**»: (٣/ ١٢١٩-١٢٢٠، رقم ١٥٩٩).

أَمِنْ حَلَالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ». وَهَذَا الْحَدِيثُ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ فِي «الصَّحِيحِ»(١).

يَأْتِي عَلَىٰ النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُبَالِي الْمَرْءُ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَ وَلَا مَا أَخَذَ، أَمِنْ حَلَالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ! هُوَ لَا يُبَالِي!!

نَسْأَلُ اللهَ الْعَافِيَةَ.

مِنْ أَهَمِّ صِفَاتِ التَّاجِرِ الْأَمِينِ: تَعَلُّمُ أَحْكَامِ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ، وَهَذَا عَلَىٰ الْوُجُوبِ، فَهَذَا وَاجِبٌ عَلَىٰ مَنْ يُزَاوِلُ الْبَيْعَ وَالشِّرَاءَ، فَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَعَلَّمَ أَحْكَامَ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ -كَمَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهْ فِي «السُّنَنِ»، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ-: «**طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ**»(٢).

فَعَلَيْهِ أَنْ يَعْرِفَ صَحِيحَ الْعُقُودِ مِنْ فَاسِدِهَا؛ حَتَّىٰ لَا يَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَالْحَرَامِ.

وَيُرْوَىٰ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه **كَانَ يَطُوفُ بِالسُّوقِ وَيَضْرِبُ بَعْضَ التُّجَّارِ بِالدِّرَّةِ، وَيَقُولُ**: «لَا يَبِعْ فِي سُوقِنَا هَذَا إِلَّا مَنْ تَفَقَّهَ، وَإِلَّا أَكَلَ الرِّبَا شَاءَ أَمْ أَبَىٰ»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (٤/ ٢٩٦ و٣١٣، رقم ٢٠٥٩ و٢٠٨٣).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) كذا ذكره معلقا الأصبهاني في «**الترغيب والترهيب**»: (١/ ٤٥٣-٤٥٤، رقم ٨١٠)، وأخرجه موصولا الترمذي في «**الجامع**»: (٢/ ٣٥٧-٣٥٨، رقم ٤٨٧) مختصرا، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ».

وكذا حسن إسناد الأثر الألباني في «**صحيح سنن الترمذي**»: (١/ ٢٧٥).

فَكَانَ يَنْهَىٰ عَنِ الْبَيْعِ فِي السُّوقِ إِلَّا مِمَّنْ قَدْ تَفَقَّهَ فِي مَعْرِفَةِ أَحْكَامِ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ، وَإِلَّا أَكَلَ الرِّبَا شَاءَ أَمْ أَبَىٰ.. كَمَا قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه.

وَمِنْ صِفَاتِ التَّاجِرِ الْأَمِينِ: السَّمَاحَةُ فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ؛ فَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**رَحِمَ اللهُ رَجُلًا سَمْحًا[1] إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَىٰ، وَإِذَا اقْتَضَىٰ**[2]. وَهَذَا الْحَدِيثُ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ فِي «الصَّحِيحِ»[3].

قَالَ الْحَافِظُ رَحِمَهُ اللهُ فِي شَرْحِهِ[4]: «فِيهِ الْحَضُّ عَلَىٰ السَّمَاحَةِ فِي الْمُعَامَلَةِ، وَاسْتِعْمَالُ مَعَالِي الْأَخْلَاقِ، وَتَرْكُ الْمُشَاحَّةِ، وَفِيهِ الْحَضُّ عَلَىٰ تَرْكِ التَّضْيِيقِ عَلَىٰ النَّاسِ فِي الْمُطَالَبَةِ، وَفِيهِ الْحَضُّ عَلَىٰ أَخْذِ الْعَفْوِ مِنْهُمْ».

مِنْ صِفَاتِ التَّاجِرِ الْأَمِينِ: إِنْظَارُ الْمُوسِرِ وَالْعَفْوُ عَنِ الْمُعْسِرِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

وَعَنْ حُذَيْفَةَ -كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»[5]- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تَلَقَّتِ الْمَلَائِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَقَالُوا: أَعَمِلْتَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا؟**

قَالَ: كُنْتُ آمُرُ فِتْيَانِي أَنْ يُنْظِرُوا وَيَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُوسِرِ».

---

(١) (**سمحا**)، أي: جوادا متساهلا.

(٢) (**إِذَا اقْتَضَىٰ**)، أَيْ: طَلَبَ الَّذِي له علىٰ غيره بِسُهُولَةٍ وَعَدَمِ إِلْحَافٍ.

(٣) «**صحيح البخاري**»: (٤/ ٣٠٦، رقم ٢٠٧٦).

(٤) «**فتح الباري**»: (٤/ ٣٠٧).

(٥) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (٤/ ٣٠٧، رقم ٢٠٧٧)، ومسلم في «**الصحيح**»: (٣/ ١١٩٤-١١٩٥، رقم ١٥٦٠).

وَفِي رِوَايَةٍ: أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ لَهُمْ: «**أَنْظِرُوا الْمُوسِرَ، وَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُعْسِرِ**».

وَفِي رِوَايَةٍ: قَالَ -هُوَ-: «**كُنْتُ أُنْظِرُ الْمُوسِرَ، وَأَتَجَاوَزُ عَنِ الْمُعْسِرِ**».

قَالَ: «**فَتَجَاوَزَ اللهُ عَنْهُ**».

قَالَ الْحَافِظُ رَحِمَهُ اللهُ(١): «فَإِذَا أَعْسَرَ الْمَدْيُونُ وَجَبَ إِنْظَارُهُ، وَلَا سَبِيلَ إِلَىٰ ضَرْبِهِ وَلَا إِلَىٰ حَبْسِهِ، وَقَدِ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي تَحْدِيدِ الْمُوسِرِ وَالْمُعْسِرِ، وَأَرْجَحُ ذَلِكَ أَنَّ هَذَا التَّحْدِيدَ إِنَّمَا يَعُودُ إِلَىٰ الْعُرْفِ، فَمَنْ كَانَ حَالُهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ مِثْلِهِ يُعَدُّ يَسَارًا فَهُوَ مُوسِرٌ، وَعَكْسُهُ بِعَسْكِهِ».

فَهَذَا الَّذِي اعْتَمَدَهُ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»، وَبِنَحْوِهِ قَالَ الشَّافِعِيُّ مِنْ قَبْلُ -رَحِمَ اللهُ عُلَمَاءَنَا مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ أَجْمَعِينَ-.

مِنْ صِفَاتِ التَّاجِرِ الْأَمِينِ: الصِّدْقُ وَالْأَمَانَةُ(*)، وَيَنْبَغِي أَنْ يَجْتَنِبَ التاجرُ الْغِشَّ وَالْكَذِبَ(*/٢)؛ فَعَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ صَادِقًا أَمِينًا، وَلْيَحْذَرِ الْكَذِبَ وَالْكِتْمَانَ مَعَ مَنْ يَتَعَامَلُ مَعَهُمْ مِنَ الشُّرَكَاءِ وَالْعُمَلَاءِ؛ فَعَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا**

---

(١) «**فتح الباري**»: (٤/ ٣٠٩).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «مِنْ آدَابِ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ» - الْأَرْبِعَاءُ ٢ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣١هـ| ١٤-٧-٢٠١٠م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ مِنْ مُحَاضَرَة: «آدَابُ الطَّرِيقِ وَالسُّوقِ وَالْعُطَاسِ وَعِيَادَةِ الْمَرِيضِ» - الْأَحَدُ ١٥ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٥هـ| ١٣-٧-٢٠١٤م.

وَكَتَمَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا». وَالْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(١).

الصِّدْقُ وَالْأَمَانَةُ وَعَدَمُ التَّدْلِيسِ وَالْخِيَانَةِ..

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ عَلَىٰ صُبْرَةٍ مِنْ طَعَامٍ -مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ كَوْمَةٍ مِنْ طَعَامٍ-، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا، فَقَالَ: «**مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟!**»

قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللهِ.

قَالَ ﷺ: «**أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ؟! مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي**». وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»(٢).

قَالَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ رضي الله عنه: «لَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ يَبِيعُ سِلْعَةً يَعْلَمُ أَنَّ بِهَا دَاءً إِلَّا أَخْبَرَهُ»(٣)؛ أَيْ: إِلَّا أَخْبَرَ الْمُشْتَرِيَ.

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (٤/ ٣٠٩، رقم ٢٠٧٩)، ومسلم في «**الصحيح**»: (٣/ ١١٦٤، رقم ١٥٣٢).

(٢) أخرجه مسلم في «**الصحيح**»: (١/ ٩٩، رقم ١٠٢).

(٣) كذا ذكره موقوفا معلقا مجزوما به البخاري في «**الصحيح**»: كِتَابُ البُيُوعِ: بَابُ إِذَا بَيَّنَ البَيِّعَانِ وَلَمْ يَكْتُمَا، (٤/ ٣٠٩).

وأخرجه مرفوعا متصلا: ابن ماجه في «**السنن**»: (٢/ ٧٥٥، رقم ٢٢٤٦)، وأحمد في «**المسند**»: (٤/ ١٥٨، رقم)، من حديث: عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ:
سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ بَاعَ مِنْ أَخِيهِ بَيْعًا فِيهِ عَيْبٌ إِلَّا بَيَّنَهُ لَهُ**»، وفي رواية: «...، **لَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ مُسْلِمٍ أَنْ يُغَيِّبَ مَا بِسِلْعَتِهِ عَنْ أَخِيهِ إِنْ عَلِمَ بِهَا تَرَكَهَا**».

=

هَذِهِ آدَابُ الْإِسْلَامِ، وَهَذِهِ قَوَاعِدُهُ: لَا غِشَّ، وَلَا خِدَاعَ، وَلَا تَدْلِيسَ، وَلَا تَزْيِيفَ.

مِنْ صِفَاتِ التَّاجِرِ الْأَمِينِ: عَدَمُ تَرْوِيجِ السِّلْعَةِ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه فِيمَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ(١) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**الْحَلِفُ مُنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْبَرَكَةِ**».

وَوَرَدَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ: «**الْحَلِفُ الْكَاذِبُ..**».

وَمَعْنَىٰ: «**مَنْفَقَةٌ**»؛ أَيْ: يَكْثُرُ الْمُشْتَرُونَ وَيَرْغَبُونَ فِي سِلْعَتِهِ بِسَبَبِ حَلِفِهِ، «**مَمْحَقَةٌ**»: مِنَ الْمَحْقِ وَهُوَ النَّقْصُ وَالْإِعْطَالُ.

=

والحديث حسنه ابن حجر في «**تغليق التعليق**»: (٣/ ٢٢٣)، وصححه الألباني في «**إرواء الغليل**»: (٥/ ١٦٥، رقم ١٣٢١).

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (٤/ ٣١٤، رقم ٢٠٨٧)، ومسلم في «**الصحيح**»: (٣/ ١٢٢٨، رقم ١٦٠٦).

وفي رواية لمسلم: «...، **مَمْحَقَةٌ لِلرِّبْحِ**»، ولأحمد: (٢/ ٢٣٥ و ٢٤٢ و ٤١٣): «**الْيَمِينُ الْكَاذِبَةُ**:... ».

قال النووي (١١/ ٤٤ - ٤٥): «فِيهِ النَّهْيُ عَنْ كَثْرَةِ الْحَلِفِ فِي الْبَيْعِ؛ فَإِنَّ الْحَلِفَ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مَكْرُوهٌ، وَيَنْضَمُّ إليه هنا: تَرْوِيجُ السِّلْعَةِ، وَرُبَّمَا اغتر المشتري باليمين»، وقال ابن حجر (٤/ ٣١٦): «فَأَوْضَحَ الْحَدِيثُ: أَنَّ الْحَلِفَ الْكَاذِبَ وَإِنْ زَادَ فِي الْمَالِ فَإِنَّهُ يَمْحَقُ الْبَرَكَةَ، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة: ٢٧٦]، أَيْ: يَمْحَقُ الْبَرَكَةَ مِنَ الْبَيْعِ الَّذِي فِيهِ الرِّبَا وَإِنْ كَانَ الْعَدَدُ زَائِدًا، لَكِنَّ مَحْقَ الْبَرَكَةِ يُفْضِي إِلَىٰ اضْمِحْلَالِ الْعَدَدِ فِي الدُّنْيَا وَإِلَىٰ اضْمِحْلَالِ الْأَجْرِ فِي الْآخِرَةِ».

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**»، قَالَهَا النَّبِيُّ ﷺ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا.. مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: «**الْمُسْبِلُ**»؛ وَهُوَ الَّذِي يُطِيلُ ثَوْبَهُ أَسْفَلَ الْكَعْبَيْنِ، وَالْكَعْبُ: الْعَظْمُ النَّاتِئُ فِي جَانِبِ الرِّجْلِ.. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَمَا سُئِلَ عَنْهُمْ، قَالَ: «**الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنَفِّقُ**(١) **سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ**»(٢).

فَهَذَا -كَمَا تَرَىٰ- مِنَ الْأُمُورِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ يُجَانِبَهَا الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ عِنْدَ بَيْعِهِ وَشِرَائِهِ وَمُعَامَلَتِهِ مَعَ إِخْوَانِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمَعَ غَيْرِهِمْ -أَيْضًا-؛ لِأَنَّ الْمُسْلِمَ لَيْسَ بِغَشَّاشٍ بِحَالٍ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي**».

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ** -الَّذِي يَمُنُّ بِالْعَطِيَّةِ يُعْطِيهَا، لَوْ لَمْ يُعْطِ لَكَانَ أَحْسَنَ- **وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ**»؛ الَّذِي يُرَوِّجُ السِّلْعَةَ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ، هَذَا مِنَ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، وَهَؤُلَاءِ خَابُوا وَخَسِرُوا كَمَا قَالَ أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه.

مِنْ صِفَاتِ التَّاجِرِ الْأَمِينِ: الْإِكْثَارُ مِنَ الصَّدَقَاتِ.. لِمَاذَا؟!!

---

(١) (الْمُنَفِّقُ) بضم الميم وفتح النون وتشديد الفاء مكسورة، من (النَّفَاق) بِفَتْحِ النُّونِ، وَهُوَ: الرَّوَاجُ للشيء وكثرة الرغبة والطلب عليه.

(٢) أخرجه مسلم في «**الصحيح**»: (١/ ١٠٢، رقم ١٠٦).

لِكَيْ يُطَهِّرَ الْمَالَ مِمَّا قَدْ يَشُوبُهُ مِنْ شَيْءٍ مِنَ الْإِثْمِ؛ فَعَنْ قَيْسٍ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ نُسَمِّي السَّمَاسِرَةَ(١)، فَمَرَّ بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَسَمَّانَا بِاسْمٍ هُوَ أَحْسَنُ، قَالَ: «**يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ! إِنَّ الشَّيْطَانَ وَالْإِثْمَ يَحْضُرَانِ الْبَيْعَ؛ فَشُوبُوا(٢) بَيْعَكُمْ بِالصَّدَقَةِ**». الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ(٣)، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

السِّمْسَارُ أَعْجَمِيٌّ، وَكَانَ كَثِيرٌ مِمَّنْ يُعَالِجُ الْبَيْعَ وَالشِّرَاءَ مِنَ الْعَجَمِ، فَتَلَقَّىٰ الْعَرَبُ هَذَا الْاسْمَ عَنْهُمْ، فَغَيَّرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ التِّجَارَةِ الَّتِي هِيَ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْعَرَبِيَّةِ، وَذَلِكَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: «خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ نُسَمِّي السَّمَاسِرَةَ، فَمَرَّ بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَسَمَّانَا بِاسْمٍ هُوَ أَحْسَنُ مِنْهُ، فَقَالَ: «**يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ! إِنَّ الشَّيْطَانَ وَالْإِثْمَ يَحْضُرَانِ الْبَيْعَ؛ فَشُوبُوا بَيْعَكُمْ بِالصَّدَقَةِ**». (*).

وَالصَّدَقَاتُ مِنْ أَسْبَابِ زِيَادَةِ أَرْبَاحِ التَّاجِرِ وَمِنْ سُبُلِ تَوَلِّي اللهِ أُمُورَهُ.. الصَّدَقَةُ سَبَبٌ لِحُصُولِ الْخَيْرَاتِ، وَنُزُولِ الْبَرَكَاتِ، وَتَفْرِيجِ الْكُرُبَاتِ، وَالْإِخْرَاجِ مِنَ الْمُلِمَّاتِ.

---

(١) (**السَّمَاسِرَةُ**): جَمْعُ سِمْسَار، وهو الوسيط الذي يتولىٰ البيع والشراء لغيره.

(٢) (**فَشُوبُوا**) أَمْرٌ مِنَ (الشَّوْبِ)، بِمَعْنَىٰ: الْخَلْطِ، أَيْ: اخْلِطُوا.

(٣) أخرجه أبو داود في «**السنن**»: (٣/ ٢٤٢، رقم ٣٣٢٦)، والترمذي في «**الجامع**»: (٣/ ٥٠٥، رقم ١٢٠٨)، والنسائي في «**المجتبىٰ**»: (٧/ ١٤-١٥)، وابن ماجه في «**السنن**»: (٢/ ٧٢٦، رقم ٢١٤٥)، من حديث: قَيْسِ بْنِ أَبِي غَرَزَةَ رضي الله عنه.
قال الترمذي: «هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وكذا صحح إسناده الألباني في هامش «**مشكاة المصابيح**»: (٢/ ٨٥١، رقم ٢٧٩٨).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «مِنْ آدَابِ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ» - الْأَرْبِعَاءُ ٢ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣١هـ| ١٤-٧-٢٠١٠م.

قَالَ ﷺ: «**بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ** -يَقُولُ لِلسَّحَابِ مُخَاطِبًا: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، بِاسْمِهِ-.

فَتَنَحَّىٰ ذَلِكَ السَّحَابُ، فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنَ الشِّرَاجِ -يَعْنِي: مَسِيلًا مِنْ مَسَايِلِ الْمَاءِ- **قَدْ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ** -الرَّجُلُ الَّذِي سَمِعَ الصَّوْتَ- **فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ؛ فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَةٍ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ** -وَالْمِسْحَاةُ مِجْرَفَةٌ مِنْ حَدِيدٍ-.

فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ، مَا اسْمُكَ؟

قَالَ: فُلَانٌ -لِلْاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ-.

فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ، لِمَ سَأَلْتَنِي عَنْ اسْمِي؟

قَالَ: سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ، يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ -لِاسْمِكَ-، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟

قَالَ: أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثَهُ، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ»(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

فَيَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ، -يَعْنِي: فِي إِصْلَاحِهَا-.(*)

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (٢٩٨٤).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «زَكَاةُ الْحُبُوبِ وَالثِّمَارِ» - الْجُمُعَةُ ١٢ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٦هـ| ١ من مايو ٢٠١٥ م.

مِنْ صِفَاتِ التَّاجِرِ الْأَمِينِ: أَنْ يَفِيَ الْمَدِينُ بِالدَّيْنِ إِذَا حَلَّ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَطْلُ**(١) **الْغَنِيِّ**(٢) **ظُلْمٌ**(٣)، **فَإِذَا أُتْبِعَ أَحَدُكُمْ عَلَىٰ مَلِيءٍ فَلْيَتْبَعْ**(٤)».

---

(١) «الْمِيمُ وَالطَّاءُ وَاللَّامُ: أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَىٰ: مَدِّ الشَّيْءِ وَإِطَالَتِهِ»، كما في «**مقاييس اللغة**» لابن فارس: (٥/ ٣٣١)، وقَالَ الليثُ كما في «**تهذيب اللغة**»: (١٣/ ٢٤٤): «المَطْلُ: مدافعتُك الدَّين»، وقال ابن حجر في «**فتح الباري**»: (٤/ ٤٦٥): «وَالْمُرَادُ هُنَا: تَأْخِيرُ مَا اسْتُحِقَّ أَدَاؤُهُ بِغَيْرِ عُذْرٍ».

(٢) قال ابن حجر (٤/ ٤٦٥): «الْمُرَادَ بِالْغَنِيِّ هُنَا: مَنْ قَدَرَ عَلَىٰ الْأَدَاءِ فَأَخَّرَهُ، وَلَوْ كَانَ فَقِيرًا».

(٣) قَوْلُهُ: (**مَطْلُ الْغَنِيِّ**)، هُوَ مِنْ إِضَافَةِ الْمَصْدَرِ لِلْفَاعِلِ عِنْدَ الْجُمْهُورِ، وَالْمَعْنَىٰ: (أَنَّهُ يَحْرُمُ عَلَىٰ الْغَنِيِّ الْقَادِرِ أَنْ يَمْطُلَ بِالدَّيْنِ بَعْدَ اسْتِحْقَاقِهِ بِخِلَافِ الْعَاجِزِ).

وقال النووي في شرحه علىٰ «**صحيح مسلم**»: (١٠/ ٢٢٧): «فَمَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ وَحَرَامٌ، وَمَطْلُ غَيْرِ الْغَنِيِّ لَيْسَ بِظُلْمٍ وَلَا حَرَامٍ؛ لِمَفْهُومِ الْحَدِيثِ، وَلِأَنَّهُ مَعْذُورٌ،... »، وقال ابن حجر (٤/ ٤٦٦): «الْعَاجِز عَنِ الْأَدَاءِ لَا يَدْخُلُ فِي الظُّلْمِ، وَهُوَ بِطَرِيقِ الْمَفْهُومِ؛ لِأَنَّ تَعْلِيقَ الْحُكْمِ بِصِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ الذَّاتِ يَدُلُّ عَلَىٰ نَفْيِ الْحُكْمِ عَنِ الذَّاتِ عِنْدَ انْتِفَاءِ تِلْكَ الصِّفَةِ»، وقال أيضا: «وَاخْتُلِفَ، هَلْ يُعَدُّ فِعْلُهُ عَمْدًا كَبِيرَةً أَمْ لَا؟ فَالْجُمْهُورُ عَلَىٰ أَنَّ فَاعِلَهُ يَفْسُقُ».

(٤) قوله: «**فَإِذَا أُتْبِعَ أَحَدُكُمْ عَلَىٰ مَلِيءٍ فَلْيَتْبَعْ**»، أَيْ: مَنْ أُحِيلَ عَلَىٰ غَنِيٍّ مُقْتَدِرٍ فَلْيَقْبَلْ الْحَوَالَةَ، والمَلِاءُ بِالْهَمْزِ: الثِقةُ الغنيُّ، كما في «**النهاية**»: (٤/ ٣٥٢)، مادة: (مَلَأَ).

وَقَوْلِهِ: «**فَلْيَتْبَعْ**»: لِلِاسْتِحْبَابِ عِنْدَ الْجُمْهُورِ، أي: أَنَّهُ إِذَا أُحِيلَ علىٰ مَلِيءٍ اسْتُحِبَّ لَهُ قَبُولُ الْحَوَالَةِ، وَحَمَلُوا الْحَدِيثَ عَلَىٰ النَّدْبِ.

قال ابن حجر (٤/ ٤٦٦): «وَمُنَاسَبَةُ الْجُمْلَةِ: «**فَإِذَا أُتْبِعَ أَحَدُكُمْ**... » لِلَّتِي قَبْلَهَا: أَنَّهُ لَمَّا =

مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

وَهِيَ الْحَوَالَةُ، «**فَإِنَّهُ إِذَا أُتْبِعَ أَحَدُكُمْ عَلَىٰ مَلِيءٍ** -أَيْ: عَلَىٰ غَنِيٍّ- **فَلْيَتْبَعْ**». الْحَدِيثُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَالْمَطْلُ: مَنْعُ قَضَاءِ مَا اسْتُحِقَّ أَدَاؤُهُ.

فَـ«**مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ؛ فَإِذَا أُتْبِعَ أَحَدُكُمْ عَلَىٰ مَلِيءٍ فَلْيَتْبَعْ**».(*).

مِنْ صِفَاتِ التَّاجِرِ الْأَمِينِ: عَدَمُ تَطْفِيفِ الْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ؛ فَمِنْ كَبَائِرِ الإِثْمِ وَعَظَائِمِ الذُّنُوبِ: تَطْفِيفُ المَكَايِيلِ وَالمَوَازِينِ.

وَالتَّطْفِيفُ: البَخْسُ وَالنَّقْصُ؛ فَهُوَ مُطَفِّفٌ، وَالْجَمْعُ: مُطَفِّفُونَ.

وَالْمَكَايِيلُ: جَمْعُ: مِكْيَالٍ، وَهُوَ وِعَاءُ الْكَيْلِ.

وَالْكَيْلُ: تَحْدِيدُ مِقْدَارِ الشَّيءِ بِوَاسِطَةِ آلَةٍ مُعَدَّةٍ لِذَلِكَ تُسَمَّىٰ الْمِكْيَالَ.

=

دَلَّ عَلَىٰ أَنَّ مَطْلَ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ، عَقَّبَهُ بِأَنَّهُ يَنْبَغِي قَبُولُ الْحَوَالَةِ عَلَىٰ الْمَلِيءِ؛ لِمَا فِي قَبُولِهَا مِنْ دَفْعِ الظُّلْمِ الْحَاصِلِ بِالْمَطْلِ، فَإِنَّهُ قَدْ تَكُونُ مُطَالَبَةُ الْمُحَالِ عَلَيْهِ سَهْلَةً عَلَىٰ الْمُحْتَالِ دُونَ الْمُحِيلِ، فَفِي قَبُولِ الْحَوَالَةِ إِعَانَةٌ عَلَىٰ كَفِّهِ عَنِ الظُّلْمِ».

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (٤/ ٤٦٤-٤٦٦، رقم ٢٢٨٧و٢٢٨٨)، ومسلم في «**الصحيح**»: (٣/ ١١٩٧، رقم ١٥٦٤).

وفي رواية لأحمد: (٢/ ٤٦٣): «**مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ، وَإِذَا أُحِيلَ عَلَىٰ مَلِيءٍ فَلْيَحْتَلْ**».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ مِنْ مُحَاضَرَة: «آدَابُ الطَّرِيقِ وَالسُّوقِ وَالْعُطَاسِ وَعِيَادَةِ الْمَرِيضِ» - الْأَحَدُ ١٥ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٥هـ| ١٣-٧-٢٠١٤م.

وَالْمَوَازِينُ: جَمْعُ: مِيزَانٍ، وَهُوَ آلَةُ الْوَزْنِ، وَالْوَزْنُ: تَقْدِيرُ الشَّيءِ بِوَاسِطَةِ الْمِيزَانِ.

وَمِنْ نِعَمِ اللهِ عَلَىٰ الْعِبَادِ وُجُودُ هَذِهِ الْأَوْعِيَةِ وَالْآلَاتِ الَّتِي تُساعِدُهُمْ عَلَىٰ تَحْدِيدِ مَقَادِيرِ الْمَوْزُونَاتِ وَالْمَكِيلَاتِ، فَيَأْخُذُ الشَّخْصُ مَا يَجِبُ لَهُ تَامًّا، وَيُعْطِي مَا لِغَيْرِهِ عَلَىٰ وَجْهِ التَّمَامِ أَيْضًا.

قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ۝٩﴾ [الرحمن: ٧-٩].

وَقَالَ ﷺ فِي رِعَايَةِ الْمَوَازِينِ: «**إِذَا وَزَنْتُمْ فَأَرْجِحُوا**»(١).

وَأَوْضَحُ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ تَجْعَلُ التَّلَاعُبَ فِي الْمَكَايِيلِ وَالْمَوَازِينِ كَبِيرَةً مُوبِقَةً مُهْلِكَةً؛ هِيَ قَوْلُ اللهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [المطففين: ١-٦].

وَالْوَيْلُ فِي أَحَدِ الْأَقْوَالِ: وَادٍ فِي جَهَنَّمَ يَتَهَدَّدُ بِهِ الرَّبُّ جَلَّ وَعَلَا أُولَئِكَ الَّذِينَ خَانُوا أَمَانَاتِهِمْ، وَبَاعُوا ذِمَمَهُمْ، وَتَعَدَّوْا عَلَىٰ حُقُوقِ الْآخَرِينَ.(*).

وَقَدْ حَذَّرَ نَبِيُّ اللهِ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ **مِنْ بَخْسِ النَّاسِ أَشْيَاءَهُمْ وَالتَّطْفِيفَ فِي الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ، كَمَا حَكَى ذَلِكَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ؛ فَقَالَ** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا

---

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهْ (٢٢٢٢)، وَصَحَّحَ إِسْنَادَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «**الصَّحِيحَةِ**» (٣٩٤٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةِ: «خُطُورَةُ الِاحْتِكَارِ عَلَىٰ الْأَمْنِ وَالِاسْتِقْرَارِ» - الْجُمُعَةُ ٢٨ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٧هـ| ٣٠- ٩- ٢٠١٦م.

قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۚ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٨٥﴾ [هود: ٨٤-٨٥].

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أَهْلِ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ فِي النَّسَبِ وَاللُّغَةِ وَالْمَوْطِنِ شُعَيْبًا عليه السلام، قَالَ: يَا قَوْمِ! وَحِّدُوا اللهَ وَلَا تَعْبُدُوا مَعَهُ غَيْرَهُ؛ لِأَنَّهُ مَا لَكُمْ فِي الْوَاقِعِ وَالْحَقِيقَةِ مِنْ مَعْبُودٍ حَقٍّ يَصِحُّ أَنْ يُعْبَدَ سِوَاهُ.

وَلَا تَكِيلُوا وَتَزِنُوا لِلْغَيْرِ نَاقِصًا وَتَسْتَوفُوا الْكَيْلَ وَالْوَزْنَ لِأَنْفُسِكُمْ زَائِدًا، إِنِّي أَرَاكُمْ فِي نِعْمَةٍ وَسَعَةٍ تُغْنِيكُمْ عَنِ التَّطْفِيفِ، وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ يُدْرِكُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ بِالْعَذَابِ فَيُهْلِكَكُمْ جَمِيعًا فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ فِي الْآخِرَةِ بَعْدَ الْبَعْثِ لِلْحِسَابِ وَفَصْلِ الْقَضَاءِ وَتَحْقِيقِ الْجَزَاءِ.

وَيَا قَوْمِ! أَتِمُّوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ وَافِيَيْنِ بِالْعَدْلِ، وَلَا تُطَفِّفُوا فِيهِمَا، وَلَا تَنْقُصُوا النَّاسَ مِمَّا اسْتَحَقُّوهُ شَيْئًا، وَلَا تَتَمَادَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ بِأَعْمَالِكُمُ الْإِجْرَامِيَّةِ الظَّالِمَةِ، وَمَنْعِ النَّاسِ حُقُوقَهُمْ، وَقَطْعِ الطَّرِيقِ عَلَىٰ الْمُسَافِرِينَ.(*).

إِنَّ هَذَا الدَّاءَ الخَطِيرَ إِنَّمَا يَنْشَأُ عَادَةً مِنْ جَشَعِ النَّفْسِ، وَخَرَابِ الضَّمِيرِ، وَقِلَّةِ الخَشْيَةِ مِنَ اللهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [هود: ٨٤-٨٥].

وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **يَمُرُّ بِالبَائِعِ فَيَقُولُ**: «اتَّقِ اللهَ، وَأَوْفِ الْكَيْلَ وَالْوَزْنَ، فَإِنَّ الْمُطَفِّفِينَ يُوقَفُونَ، حَتَّىٰ إِنَّ الْعَرَقَ لَيُلْجِمُهُمْ إِلَىٰ أَنْصَافِ آذَانِهِمْ».

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **لِأَصْحَابِ الْكَيْلِ وَالْوَزْنِ**: «إِنَّكُمْ قَدْ وُلِّيتُمْ أَمْرًا فِيهِ هَلَكَتِ الْأُمَمُ السَّابِقَةُ قَبْلَكُمْ»(١).

قَالَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ: «وَيْلٌ ثُمَّ وَيْلٌ لِمَنْ يَبِيعُ بِحَبَّةٍ يُنْقِصُهَا جَنَّةً عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ؛ وَيَشْتَرِي بِحَبَّةٍ يَزِيدُهَا وَادِيًا فِي جَهَنَّمَ يُذِيبُ جِبَالَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا».

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**وَلَمْ يُنْقِصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ، وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ**»(٢).(*).

فَلَا بُدَّ مِنْ رِعَايَةِ الْعَدْلِ فِي الْبَيْعِ وَفِي الشِّرَاءِ وَفِي كُلِّ الْأَحْوَالِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَا يَقْبَلُ الظُّلْمَ، وَقَدْ حَرَّمَهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَجَعَلَهُ بَيْنَ الْعِبَادِ مُحَرَّمًا.(*/٢).

---

(١) أَخْرَجَهُ هَنَّادُ بنُ السَّرِيِّ فِي «**الزُّهْدِ**» (٢/ ٣٥٨)، وَالطَّبَرِيُّ فِي «**تَفْسِيرِهِ**» (١٤/ ٥٩٣) (٢٢/ ١٧٨ – ١٧٩، دَارُ هَجَرَ)، وَالخَرَائِطِيُّ فِي «**مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ**» (رَقْمَ ١٥٩)، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «**تَفْسِيرِهِ**» (٣/ رَقْمَ ٥٥١٢)، وَالبَيْهَقِيُّ فِي «**الكُبْرَىٰ**» (رَقْمَ ١١١٦٧)، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَوْقُوفًا.

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهْ (٤٠١٩)، وَحَسَّنَهُ لِغَيْرِهِ الأَلْبَانِيُّ فِي «**الصَّحِيحَةِ**» (١٠٦).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَة: «خُطُورَةُ الِاحْتِكَارِ عَلَىٰ الْأَمْنِ وَالِاسْتِقْرَارِ» – الْجُمُعَةُ ٢٨ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٧هـ| ٣٠- ٩- ٢٠١٦م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «آدَابُ الطَّرِيقِ وَالسُّوقِ وَالْعُطَاسِ وَعِيَادَةِ الْمَرِيضِ» – الْأَحَدُ ١٥ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٥هـ ١٣-٧-٢٠١٤م.

مِنْ صِفَاتِ التَّاجِرِ الْأَمِينِ: اجْتِنَابُ الْبُيُوعِ وَالْمُعَامَلَاتِ وَالْأَشْيَاءِ الْمُحَرَّمَةِ وَالْخَبِيثَةِ؛ قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

وَقَالَ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المائدة: ٩٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].(*).

وَمِنْ صِفَاتِ التَّاجِرِ الْأَمِينِ: عَدَمُ غِشِّ النَّاسِ؛ فَقَدْ حَذَّرَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَ الضَّمَائِرِ الْفَاسِدَةِ الَّتِي لَا تُرَاقِبُ رَبَّهَا، وَحَذَّرَ كُلَّ مَنْ تُسَوِّلُ لَهُ نَفْسُهُ الْخَبِيثَةُ خِدَاعَ النَّاسِ وَأَكْلَ أَمْوَالِهِمْ بِالْبَاطِلِ مِنَ الْغِشِّ؛ فَقَدْ رَهَّبَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الغِشِّ، وَرَغَّبَ فِي النَّصِيحَةِ فِي البَيْعِ وَغَيْرِهِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا، وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا**»(٢). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.(*/٢).

وَمِنْ صِفَاتِ التَّاجِرِ الْأَمِينِ: عَدَمُ التَّعَدِّي عَلَى حُقُوقِ الْآخَرِينَ؛ وَمِنْ ذَلِكَ: نَهْيُ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ أَنْ يَبِيعَ الْإِنْسَانُ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ؛ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا يَبِعْ أَحَدُكُمْ عَلَىٰ**

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «آدَابُ الطَّرِيقِ وَالسُّوقِ وَالْعُطَاسِ وَعِيَادَةِ الْمَرِيضِ» - الْأَحَدُ ١٥ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٥هـ| ١٣-٧-٢٠١٤م.

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١٠١).

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَة: «خُطُورَةُ الِاحْتِكَارِ عَلَىٰ الْأَمْنِ وَالِاسْتِقْرَارِ» - الْجُمُعَةُ ٢٨ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٧هـ| ٣٠- ٩- ٢٠١٦م.

بَيْعِ بَعْضٍ». وَالْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.(*).

وَمِنْ صِفَاتِ التَّاجِرِ الْأَمِينِ: عَدَمُ احْتِكَارِ السِّلَعِ؛ فَالِاحْتِكَارُ يُمَثِّلُ تَلَاعُبًا بِأَقْوَاتِ النَّاسِ، وَيَضُرُّ بِالْبِلَادِ وَالْعِبَادِ.. احْتِكَارُ السِّلَعِ حَرَامٌ لَا يَجُوزُ، وَقَدْ نَهَىٰ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ؛ فَعَنْ مَعْمَرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا يَحْتَكِرُ إِلَّا خَاطِئٌ**». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»(٢)»(٣). (*/٢).

رَهَّبَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الِاحْتِكَارِ.

وَالِاحْتِكَارُ: هُوَ شِرَاءُ الشَّيْءِ وَحَبْسُهُ لِيَقِلَّ بَيْنَ النَّاسِ؛ فَيَغْلُوَ سِعْرُهُ، وَيُصِيبَهُمْ بِسَبَبِ ذَلِكَ الضَّرَرُ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «التَّعْلِيقُ عَلَىٰ الشَّرْحِ الْمُمْتِعِ - كِتَابُ الْبَيْعِ» (الْمُحَاضَرَةُ الْأُولَىٰ)، الثُّلَاثَاءُ ١ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣١هـ| ١٣-٧-٢٠١٠م.

(٢) أخرجه مسلم في «**الصحيح**»: (٣/ ١٢٢٧ - ١٢٢٨ رقم ١٦٠٥)، من حديث: معمر بن أبىٰ معمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي لفظ له: «**مَنِ احْتَكَرَ فَهُوَ خَاطِئٌ**».

قال النووي في شرحه علىٰ «**صحيح مسلم**»: (١١/ ٤٣): «قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: «الْخَاطِئُ بِالْهَمْزِ، هُوَ: الْعَاصِي الْآثِمُ»، وَهَذَا الْحَدِيثُ صَرِيحٌ فِي تَحْرِيمِ الِاحْتِكَارِ».

(٣) «**مختصر الفقه الإسلامي**»: الباب الثاني: كتاب الآداب: آداب السوق، (ص٣١٤-٣١٦) بتصرف.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «آدَابُ الطَّرِيقِ وَالسُّوقِ وَالْعُطَاسِ وَعِيَادَةِ الْمَرِيضِ» - الْأَحَدُ ١٥ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٥هـ| ١٣-٧-٢٠١٤م.

وَالِاحْتِكَارُ حَرَّمَهُ الشَّارِعُ وَنَهَىٰ عَنْهُ؛ لِمَا فِيهِ مِنَ الجَشَعِ، وَالطَّمَعِ، وَسُوءِ الخُلُقِ، وَالتَّضْيِيقِ عَلَىٰ النَّاسِ.

رَوَىٰ مُسْلِمٌ عَنْ مَعْمَرٍ(١): أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنِ احْتَكَرَ فَهُوَ خَاطِئٌ**»(٢). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ، وَفِي رِوَايَةٍ: «**لَا يَحْتَكِرُ إِلَّا خَاطِئٌ**»، وَالخَاطِئُ: الآثِمُ، وَالمَعْنَىٰ: لا يَجْتَرِئُ عَلَىٰ هَذَا الفِعْلِ الشَّنِيعِ إِلَّا مَنِ اعْتَادَ المَعْصِيَةَ.

إِنَّ الأُمَّةَ تُعَانِي فِي هَذَا الوَقْتِ مِنْ هَذَا الدَّاءِ الوَبِيلِ الَّذِي حَرَّمَهُ الشَّرْعُ الشَّرِيفُ، وَنَدَّدَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَنْ فَعَلَهُ؛ وَهُوَ الِاحْتِكَارُ، فَإِنَّ أَكْثَرَ التُّجَّارِ الَّذِينَ يُتَاجِرُونَ فِي السِّلَعِ الغِذَائِيَّةِ، وَمَا أَشْبَهَ مِمَّا يَحْتَاجُهُ النَّاسُ حَاجَةً مَاسَّةً، يَقُومُونَ بِهَذَا العَمَلِ الشَّنِيعِ، وَيَتَوَفَّرُونَ عَلَىٰ صَنِيعِهِ، مِمَّا يُؤَدِّي بِالأُمَّةِ إِلَىٰ الوُقُوعِ فِي الفَوْضَىٰ، وَالِاضْطِرَابِ فِي النِّظَامِ.

وَقَدِ اتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ عَلَىٰ أَنَّ الِاحْتِكَارَ يَكُونُ فِي حَالِ الضِّيقِ وَالضَّرُورَةِ، لَا فِي وَقْتِ السَّعَةِ؛ وَفِي الْبَلَدِ الصَّغِيرِ عَادَةً؛ وَمِنْ طَرِيقِ الشِّرَاءِ وَالِامْتِنَاعِ عَنِ الْبَيْعِ مِمَّا يَضُرُّ بِالنَّاسِ؛ لِأَنَّ فِي الْحَبْسِ ضَرَرًا بِالْمُسْلِمِينَ.

وَاتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ -أَيْضًا- عَلَىٰ أَنَّ الِاحتِكَارَ حَرَامٌ فِي كُلِّ وَقْتٍ فِي الْأَقْوَاتِ، وَالطَّعَامِ؛ طَعَامِ الْإِنْسَانِ، مِثْلِ: الحِنْطَةِ، وَالشَّعِيرِ، وَالذُّرَةِ، وَالْأُرْزِ، وَمَا أَشْبَهَ،

---

(١) هُوَ مَعْمَرُ بنُ أَبِي مَعْمَرٍ عَبْدِ اللهِ بنِ نَافِعِ بنِ نَضْلَةَ القُرَشِيُّ العَدَوِيُّ، صَحَابِيٌّ كَبِيرٌ، أَسْلَمَ قَدِيمًا، وَهَاجَرَ الهِجْرَتَيْنِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَىٰ مَكَّةَ فَأَقَامَ بِهَا، ثُمَّ قَدِمَ المَدِينَةَ بَعْدَ ذَلِكَ، انْظُرْ: «**الِاسْتِيعَابَ**» (٣/ رَقْمَ ٢٤٦٨)، وَ«**الإِصَابَةَ**» (٦/ رَقْمَ ٨١٦٩).

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١٦٠٥).

وَالتِّينِ، وَالْعِنَبِ، وَالتَّمْرِ، وَالزَّبِيبِ، وَاللَّوْزِ، وَنَحْوِهَا مِمَّا يَقُومُ بِهِ الْبَدَنُ.

وَكَذِلِكَ يَحْرُمُ الِاحْتِكَارُ عِنْدَ الْحَنَفِيَّةِ، وَالشَّافِعِيَّةِ، وَالْحَنَابِلَةِ فِي طَعَامِ الْبَهَائِمِ؛ كَتِبْنٍ وَغَيْرِهِ مِنْ عَلَفِ الدَّوَابِّ؛ فَيَحْرُمُ الِاحْتِكَارُ فِيهَا.

وَيَحْرُمُ الِاحْتِكَارُ -أَيْضًا- عِنْدَ الْمَالِكِيَّةِ وَأَبِي يُوسُفَ فِي غَيْرِ الطَّعَامِ فِي وَقْتِ الضَّرُورَةِ، لَا فِي وَقْتِ السَّعَةِ، فَلَا يَجُوزُ عِنْدَهُمْ الِاحْتِكَارُ فِي الطَّعَامِ وَغَيْرِهِ، مِنَ الْكَتَّانِ، وَالْقُطْنِ، وَجَمِيعِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ، أَوْ كُلِّ مَا أَضَرَّ بِالنَّاسِ حَبْسُهُ، قُوتًا كَانَ أَوْ لَا، وَلَوْ ثِيَابًا، أَوْ دَرَاهِمَ.

كَمَا يَصْنَعُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ مِمَّنْ يُرِيدُونَ الشَّرَّ لِلْأُمَّةِ، وَمِمَّنْ يَتَعَامَلُونَ عَلَىٰ غَفْلَةٍ، وَلَا يَنْظُرُونَ فِي مَآلَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّهُ كُلَّمَا تَوَفَّرَتْ عُمْلَةٌ صَعْبَةٌ، تَوَفَّرُوا هُمْ عَلَىٰ الِاسْتِحْوَاذِ عَلَيْهَا وَكَنْزِهَا؛ فَتَظَلُّ الْأَزْمَةُ قَائِمَةً، بَلْ إِنَّهَا تَزْدَادُ عُتُوًّا -وَإِلَىٰ اللهِ الْمُشْتَكَىٰ-.

وَالْخُلَاصَةُ: أَنَّ الْجُمْهُورَ خَصُّوا الِاحْتِكَارَ بِالْقُوتَيْنِ: قُوتِ النَّاسِ، وَقُوتِ الْبَهَائِمِ؛ نَظَرًا لِلْحِكْمَةِ الْمُنَاسِبَةِ لِلتَّحْرِيمِ؛ وَهِيَ: دَفْعُ الضَّرَرِ عَنِ النَّاسِ، وَالْأَغْلَبُ فِي ذَلِكَ إِنَّما يَكُونُ فِي الْقُوتَيْنِ. وَمَنَعَهُ الْمَالِكِيَّةُ -أَيْ: مَنَعُوا الِاحْتِكَارَ- مُطْلَقًا.

فَلْيَتَّقِ اللهَ أَقْوَامٌ لَا يَنْظُرُونَ إِلَىٰ مَآلَاتِ الْأُمُورِ، وَلْيَحْرِصُوا عَلَىٰ أَنْ يُرْضُوا اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَلْيَعْلَمُوا أَنَّ كُلَّ لَحْمٍ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ فَالنَّارُ أَوْلَىٰ بِهِ.

وَعَلَيْهِمْ أَنْ يَتَّقُوا اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي دِينِهِمْ، وَفِي إِخْوَانِهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ،

وَعَلَيْهِمُ أَنْ يَتَّقُوا اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي الدَّوَابِّ؛ فَإِنَّ الِاحْتِكَارَ لِقُوتِ الدَّوَابِّ وَالْبَهَائِمِ مِمَّا حَرَّمَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ -كَمَا مَرَّ-.

فَإِنَّ هَذَا الِاحْتِكَارَ لِقُوتِ الدَّوَابِّ لَا يَجُوزُ، بَلْ هُوَ مُحَرَّمٌ، فَكَيْفَ بِاحْتِكَارِ أَقْوَاتِ الْبَشَرِ، أَقْوَاتِ الْمُسْلِمِينَ؟!!

عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَّقُوا اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَأَنْ يَفِيئُوا إِلَيْهِ، وَأَنْ يَخْرُجُوا مِنْ مَعَاصِيهِمْ، بِالْإِقْبَالِ عَلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَبَذْلِ مَا فِي أَيْدِيهِمْ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ -وَهُوَ عَلَىٰ عَكْسِ مَا يَفْعَلُونَ-: «**مَنْ كَانَ عِنْدَهُ فَضْلُ زَادٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَىٰ مَنْ لَا زَادَ لَهُ، مَنْ كَانَ عِنْدَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَىٰ مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ، مَنْ كَانَ عِنْدَهُ فَضْلُ ثَوْبٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَىٰ مَنْ لَا ثَوْبَ لَهُ**»، فَمَا زَالَ يُعَدِّدُ مِنْ أَصْنَافِ الفَضْلِ، حَتَّىٰ ظَنَّ الصَّحَابَةُ أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ فِي الْفَضْلِ(١)؛ يَعْنِي فِي الزِّيَادَةِ عَمَّا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْ ثِيَابٍ أَوْ طَعَامٍ أَوْ شَرَابٍ أَوْ مَرْكُوبٍ أَوْ مَا أَشْبَهَ.

إِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فِي الْمُوَاسَاةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، فَكَيْفَ بِهَذَا الْعَمَلِ الشَّنِيعِ: وَهُوَ احْتِكَارُ مُتَطَلَّبَاتِ الْمُسْلِمِينَ وَحَبْسُهَا حَتَّىٰ يَغْلُوَ سِعْرُهَا وَثَمَنُهَا مِنْ أَجْلِ أَنْ يَتَكَسَّبُوا بِمُسْتَقْبَلِ بَلَدِهِمُ الْمُسْلِمِ، حَتَّىٰ يَنْهَارَ وَحَتَّىٰ تَضْمَحِلَّ قُوَىٰ الْإِسْلَامِ فِيهِ؟!! فَهَذِهِ خِيَانَةٌ عُظْمَىٰ.(*).

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١٧٢٨) مِنْ حَدِيثِ: أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةِ: «خُطُورَةُ الِاحْتِكَارِ عَلَىٰ الْأَمْنِ وَالِاسْتِقْرَارِ» - الْجُمُعَةُ ٢٨ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٧هـ| ٣٠- ٩/ ٢٠١٦م.

فَهَذِهِ جُمْلَةٌ مِنْ صِفَاتِ التَّاجِرِ الْأَمِينِ الصَّادِقِ، وَلَوْ أَنَّ التَّاجِرَ تَحَلَّى بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ وَتَمَسَّكَ بِهَذِهِ الْخِصَالِ النَّبِيلَةِ؛ لَآتَاهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَضْلًا عَظِيمًا، وَحَبَاهُ خَيْرًا كَثِيرًا؛ لِأَنَّ الْخَيْرَ كُلَّ الْخَيْرِ فِي اتِّبَاعِ هَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَمَّا مُخَالَفَتُهُ فَشُؤْمٌ لَا يَتَأَتَّىٰ مِنْ وَرَائِهَا إِلَّا كُلُّ شَرٍّ -نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَرْزُقَنَا التَّوْحِيدَ وَالِاتِّبَاعَ، إِنَّهُ -تَعَالَىٰ- هُوَ الْبَرُّ الْجَوَادُ الْكَرِيمُ-.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «آدَابُ الطَّرِيقِ وَالسُّوقِ وَالْعُطَاسِ وَعِيَادَةِ الْمَرِيضِ» - الْأَحَدُ ١٥ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٥هـ| ١٣-٧-٢٠١٤م.

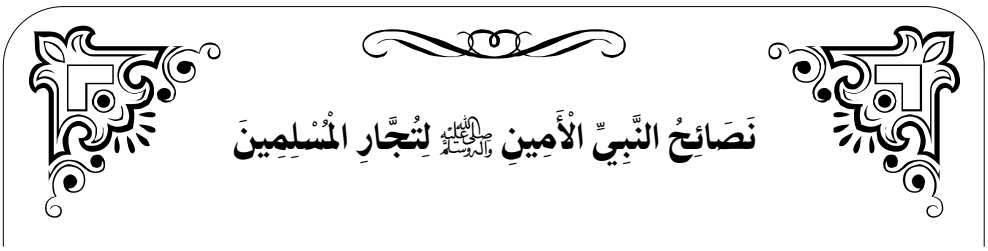

نَصَائِحُ النَّبِيِّ الْأَمِينِ ﷺ لِتُجَّارِ الْمُسْلِمِينَ

النَّبِي ﷺ لَمْ يَدَعْ شَيْئًا مِمَّا أَعْلَمَهُ اللهُ ﷻ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِيَّاهُ مِمَّا فِيهِ نَفْعٌ لَهُمْ إِلَّا بَيَّنَهُ وَدَعَاهُمْ إِلَيْهِ، وَمَا كَانَ فِيهِ شَرٌّ حَذَّرَهُمْ مِنْهُ، قال ﷺ: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَىٰ خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ»(١).

وَمِمَّنِ اخْتَصَّهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِالنُّصْحِ وَالْإِرْشَادِ التُّجَّارَ؛ فَرَغَّبَ النَّبِيُّ ﷺ التُّجَّارَ فِي الصِّدْقِ، وَرَهَّبَهُمْ مِنَ الْكَذِبِ وَمِنَ الْحَلِفِ وَإِنْ كَانُوا صَادِقِينَ؛ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الْأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ**». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ(٢) وَقَالَ: «حَدِيثٌ حَسَنٌ»، وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ: «صَحِيحٌ لِغَيْرِهِ».

---

(١) أخرجه مسلم في «**صحيحه**» (١٨٤٤).

والحديث صححه لغيره الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (٢/ ٣٤٢، رقم ١٧٨٢).

(٢) «**الجامع**»: (٣/ ٥٠٦، رقم ١٢٠٩)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ».

والحديث صححه لغيره الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (٢/ ٣٤٢، رقم ١٧٨٢).

وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ[١] عَنِ ابْنِ عُمَرَ، وَلَفْظُهُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**التَّاجِرُ الْأَمِينُ الصَّدُوقُ الْمُسْلِمُ مَعَ الشُّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**». وَهُوَ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وَعَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا الْبَيِّعَانِ وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا فَعَسَىٰ أَنْ يَرْبَحَا رِبْحًا وَيُمْحَقَا بَرَكَةَ بَيْعِهِمَا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[٢].

وَعَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ رِفَاعَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ أَنَّهُ خَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَىٰ الْمُصَلَّىٰ؛ فَرَأَىٰ النَّاسَ يَتَبَايَعُونَ، فَقَالَ: «**يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ!**[٣]»، فَاسْتَجَابُوا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَرَفَعُوا أَعْنَاقَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ إِلَيْهِ، فَقَالَ: «**إِنَّ التُّجَّارَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فُجَّارًا**[٤] **إِلَّا مَنِ اتَّقَىٰ اللهَ وَبَرَّ وَصَدَقَ**». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ

---

(١) «**السنن**» لابن ماجه: (٢/ ٧٢٤، رقم ٢١٣٩).

وزاد الدارقطني في رواية له (٣/ ٣٨٧، رقم ٢٨١٢): «... **مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

والحديث حسن إسناده وصحح متنه لشواهده الألباني في «**الصحيحة**»: (٧/ ١٣٣٦ - ١٣٣٨، رقم ٣٤٥٣).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) (التُّجَّارِ) فيها وجهان: بضم التاء مع تشديد الجيم كفاجر وفجار، وبكسر التاء مع تخفيف الجيم كصاحب وصحاب، وحكىٰ ابن الأثير وجها ثالثا: بِالضَّمِّ وَالتَّخْفِيفِ.

انظر: «**النهاية في غريب الحديث**»: (١/ ١٨١) مادة: (تجر)، وشرح ابن رسلان علىٰ «**سنن أبي داود**»: (١٤/ ٨، رقم ٣٣٢٦).

(٤) (فُجَّارًا) جَمْعُ فَاجِرٍ، وَهُوَ الْمُنْبَعِث فِي الْمَعاصِي والمحَارِم، والمراد هنا: الفجور في الحلف واللغو.

وَابْنُ مَاجَهْ وَابْنُ حِبَّانَ(١)، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِبْلٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ التُّجَّارَ هُمُ الْفُجَّارُ**».

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! أَلَيْسَ قَدْ أَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ؟

قَالَ: «**بَلَىٰ، وَلَكِنَّهُمْ يَحْلِفُونَ فَيَأْثَمُونَ، وَيُحَدِّثُونَ فَيَكْذِبُونَ**». أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ(٢)، وَهُوَ كَمَا قَالَ.

وَعَنْ سَلْمَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ أُشَيْمِطٌ زَانٍ** -وَهُوَ مَنِ ابْيَضَّ شَعْرُ رَأْسِهِ مِنَ الْكِبَرِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يَقَعُ فِي فَاحِشَةِ الزِّنَا-، **وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ** -وَالْعَائِلُ: الْفَقِيرُ-، **وَرَجُلٌ جَعَلَ اللهَ بِضَاعَتَهُ؛ لَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ، وَلَا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ**».

---

(١) أخرجه الترمذي في «**الجامع**»: (٣/ ٥٠٦ - ٥٠٧، رقم ١٢١٠)، وابن ماجه في «**السنن**»: (٢/ ٧٢٦، رقم ٢١٤٦)، وابن حبان في «**الصحيح**» بترتيب ابن بلبان: (١١/ ٢٧٦، رقم ٤٩١٠).

قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وحسنه لغيره الألباني في «**الصحيحة**»: (٢/ ٦٩٣ - ٦٩٤، رقم ٩٩٤).

(٢) أخرجه أحمد في «**المسند**»: (٣/ ٤٢٨ و٤٤٤)، والحاكم في «**المستدرك**»: (٢/ ٦-٧)، والبيهقي في «**السنن الكبرىٰ**»: (٥/ ٢٦٦)، وفي «**شعب الإيمان**»: (٦/ ٤٨٢-٤٨٣).

والحديث صححه الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (٢/ ٣٤٣، رقم ١٧٨٦).

رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ»، وَفِي «الصَّغِيرِ» وَ«الْأَوْسَطِ»؛ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ فِيهِمَا: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ...**». فَذَكَرَهُ(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: رَجُلٌ عَلَىٰ فَضْلِ مَاءٍ بِفَلَاةٍ يَمْنَعُهُ ابْنَ السَّبِيلِ، وَرَجُلٌ بَايَعَ رَجُلًا بِسِلْعَتِهِ بَعْدَ الْعَصْرِ فَحَلَفَ بِاللهِ لَأَخَذَهَا بِكَذَا وَكَذَا، فَصَدَّقَهُ فَأَخَذَهَا وَهُوَ عَلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ، وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِلدُّنْيَا؛ فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا مَا يُرِيدُ وَفَىٰ لَهُ، وإِنْ لَمْ يُعْطِهِ لَمْ يَفِ**».

وَفِي رِوَايَةٍ نَحْوُهُ، وَقَالَ: «**وَرَجُلٌ حَلَفَ عَلَىٰ سِلْعَتِهِ لَقَدْ أُعْطِيَ بِهَا أَكْثَرَ مِمَّا أُعْطِيَ وَهُوَ كَاذِبٌ، وَرَجُلٌ حَلَفَ عَلَىٰ يَمِينٍ كَاذِبَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، وَرَجُلٌ مَنَعَ فَضْلَ مَاءٍ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: الْيَوْمَ أَمْنَعُكَ فَضْلِي كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ يَدَاكَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٢).

وَعَنْهُ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَرْبَعَةٌ يُبْغِضُهُمُ اللهُ: الْبَيَّاعُ الْحَلَّافُ، وَالْفَقِيرُ الْمُخْتَالُ، وَالشَّيْخُ الزَّانِي، وَالْإِمَامُ الْجَائِرُ**». أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ

---

(١) أخرجه الطبراني في معاجمه الثَّلَاثَةِ في «**المعجم الكبير**»: (٦/ ٢٤٦، رقم ٦١١١)، وفي «**الأوسط**»: (٥/ ٣٦٧، رقم ٥٥٧٧)، وفي «**الصغير**»: (٢/ ٨٢، رقم ٨٢١)، والبيهقي في «**شعب الإيمان**»: (٦/ ٤٨٧، رقم ٤٥١١).

والحديث صححه الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (٢/ ٣٤٤، رقم ١٧٨٨).

(٢) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (٥/ ٣٤، رقم ٢٣٥٨)، ومسلم في «**الصحيح**»: (١/ ١٠٣، رقم ١٠٨).

وَابْنُ حِبَّانَ(١)، وَهُوَ فِي مُسْلِمٍ بِنَحْوِهِ.

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَفَعَهُ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ ثَلَاثَةً وَيُبْغِضُ ثَلَاثَةً**...»، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، إِلَىٰ أَنْ قَالَ: قُلْتُ: فَمَنِ الثَّلَاثَةُ الَّذِينَ يُبْغِضُهُمُ اللهُ؟

قَالَ: «**الْمُخْتَالُ الْفَخُورُ، وَأَنْتُمْ تَجِدُونَهُ فِي كِتَابِ اللهِ الْمُنْزَّلِ**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ١٨﴾ [لقمان: ٨١]، **وَالْبَخِيلُ الْمَنَّانُ، وَالتَّاجِرُ أَوِ الْبَائِعُ الْحَلَّافُ**». أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ(٢)، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَرَّ أَعْرَابِيٌّ بِشَاةٍ، فَقُلْتُ: تَبِيعُهَا بِثَلَاثَةِ دَرَاهِمَ؟

---

(١) أخرجه النسائي في «**المجتبىٰ**»: (٥/ ٨٦، رقم ٢٥٧٦)، وابن حبان في «**الصحيح**» بترتيب ابن بلبان: (١٢/ ٣٦٨-٣٦٩، رقم ٥٥٥٨).

والحديث صححه الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (٢/ ٣٤٥، رقم ١٧٩٠)، وأصله عند مسلم في «**الصحيح**»: (١/ ١٠٢، رقم ١٠٧)، بلفظ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ**»، دون ذكر «**الْبَيَّاعُ الْحَلَّافُ**».

(٢) أخرجه أحمد في «**المسند**»: (٥/ ١٥١ و١٧٦، رقم ٢١٣٤٠ و٢١٥٣٠)، والطبراني في «**المعجم الكبير**»: (٢/ ١٥٢-١٥٣، رقم ١٦٣٧)، والحاكم في «**المستدرك**»: (٢/ ٨٩، رقم ٢٤٤٦)، والبيهقي في «**السنن الكبرىٰ**»: (٩/ ١٦٠)، وفي «**شعب الإيمان**»: (١٢/ ٩٧).

قال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ»، وكذا صححه الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (٢/ ٣٤٥، رقم ١٧٩١).

فَقَالَ: لَا وَاللهِ! ثُمَّ بَاعَهَا، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ**». أَخْرَجَهُ ابْنُ حِبَّانَ(١) بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.

وَعَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَخْرُجُ إِلَيْنَا وَكُنَّا تُجَّارًا، وَكَانَ يَقُولُ: «**يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ! إِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ**». أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ(٢) بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ لِغَيْرِهِ»(٣).

حَضَّ النَّبِيُّ ﷺ التُّجَّارَ عَلَىٰ الصِّدْقِ وَعَلَىٰ الْأَمَانَةِ، وَحَذَّرَهُمْ مِنَ الْكَذِبِ وَالْخِيَانَةِ.

عَلَيْنَا أَنْ نَتَّقِيَ اللهَ فِي دِينِنَا وَفِي بَلَدِنَا؛ فَإِنَّهَا عَلَىٰ شَفَا، ثَبَّتَهَا اللهُ وَحَفِظَهَا وَحَمَاهَا، وَهُوَ الْبَرُّ الْجَوَادُ الرَّحِيمُ.(*).

❀❀❀

(١) «**الصحيح**» لابن حبان بترتيب ابن بلبان: (١١/ ٢٧٦، رقم ٤٩٠٩).
والحديث حسنه الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (٢/ ٣٤٥، رقم ١٧٩٢).
(٢) أخرجه الطبراني في «**المعجم الكبير**»: (٢٢/ ١٣٢، رقم ٥٦).
والحديث صححه لغيره الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (٢/ ٣٤٦، رقم ١٧٩٣).
(٣) «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (٢/ ٣٤٢-٣٤٥)، بتصرف يسير.
(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «نَصِيحَةُ الْأَمِينِ ﷺ لِتُجَّارِ الْمُسْلِمِينَ» - ٣٠ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٧هـ| ٢-٩-٢٠١٦م.

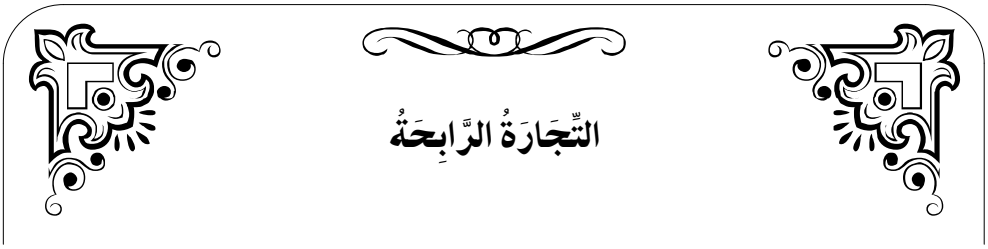

التِّجَارَةُ الرَّابِحَةُ

«**لَقَدْ أَخْبَرَنَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ بِالتِّجَارَةِ الَّتِي لَنْ تَكْسَدَ وَتَفْسَدَ، بَلْ تِجَارَةٌ هِيَ أَجَلُّ التِّجَارَاتِ وَأَعْلَاهَا وَأَفْضَلُهَا؛ أَلَا وَهِيَ رِضَا رَبِّهِمْ، وَالْفَوْزُ بِجَزِيلِ ثَوَابِهِ، وَالنَّجَاةُ مِنْ سَخَطِهِ وَعِقَابِهِ**»(١)، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠].

إِنَّ الَّذِينَ يُدَاوِمُونَ عَلَىٰ تِلَاوَةِ كِتَابِ اللهِ الْمُنَزَّلِ عَلَىٰ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَيَعْلَمُونَ مَا فِيهِ، وَيَعْمَلُونَ بِهِ بِدَوَامٍ وَاسْتِمْرَارٍ.

وَكَذَلِكَ ثَبَتَ فِيمَا مَضَىٰ مِنْ أَمْرِهِمْ أَنَّهُمْ دَاوَمُوا عَلَىٰ الصَّلَاةِ الْمَفْرُوضَةِ فِي أَوْقَاتِهَا، وَأَدَّوْهَا عَلَىٰ الْوَجْهِ الشَّرْعِيِّ الْمَطْلُوبِ مِنْهَا.

وَثَبَتَ فِيمَا مَضَىٰ مِنْ أَمْرِهِمْ أَنَّهُمْ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْضِ مَا رَزَقْنَاهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ مِنْ أَنْوَاعِ النَّفَقَاتِ الْوَاجِبَةِ وَالْمُسْتَحَبَّةِ فِي الْخَفَاءِ عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ؛ بُعْدًا عَنِ الرِّيَاءِ، وَعَلَانِيَةً -أَيْضًا-، مَعَ الْإِخْلَاصِ فِي الْإِنْفَاقِ؛ طَلَبًا لِلثَّوَابِ الْعَظِيمِ؛

(١) «تيسير الكريم الرحمن»: (ص ٦٨٩).

هَؤُلَاءِ يَتَوَقَّعُونَ بِذَلِكَ تِجَارَةً رَابِحَةً نَامِيَةَ الْقِيمَةِ، بَاقِيَةَ الرَّوَاجِ دَائِمًا، لَنْ تَكْسَدَ وَلَنْ تَخْسَرَ.

يَتَقَرَّبُونَ إِلَىٰ اللهِ -سُبْحَانَهُ- بِمَحَابِّهِ؛ لِيُعْطِيَهُمْ رَبُّهُمْ ثَوَابَ أَعْمَالِهِمْ كَامِلًا غَيْرَ مَنْقُوصٍ، وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ سِوَىٰ الثَّوَابِ مِمَّا لَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ؛ إِنَّهُ -سُبْحَانَهُ- كَثِيرُ الْمَغْفِرَةِ وَعَظِيمُهَا، يَسْتُرُ الْعَظِيمَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ، وَلَا يُحَاسِبُهُمْ عَلَيْهَا، كَثِيرُ الشُّكْرِ وَعَظِيمُهُ، يَشْكُرُ الْيَسِيرَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَيُجَازِيهِمْ عَلَىٰ طَاعَاتِهِمْ أَوْفَىٰ الْجَزَاءِ.(*).

وَقَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣﴾ [الصف: ١٠-١٣].

«هَذِهِ وَصِيَّةٌ وَدَلَالَةٌ وَإِرْشَادٌ مِنْ أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، لِأَعْظَمِ تِجَارَةٍ، وَأَجَلِّ مَطْلُوبٍ، وَأَعْلَىٰ مَرْغُوبٍ، يَحْصُلُ بِتِلْكَ الْوَصِيَّةِ النَّجَاةُ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ، وَالْفَوْزُ بِالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ.

وَأَتَىٰ بِأَدَاةِ الْعَرْضِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ أَنَّ هَذَا أَمْرٌ يَرْغَبُ فِيهِ كُلُّ مُتَبَصِّرٍ، وَيَسْمُو إِلَيْهِ كُلُّ لَبِيبٍ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: مَا هَذِهِ التِّجَارَةُ الَّتِي هَذَا قَدْرُهَا؟

فَقَالَ: تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ..

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «التَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [فاطر: ٢٩-٣٠].

وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْإِيمَانَ التَّامَّ هُوَ: التَّصْدِيقُ الْجَازِمُ بِمَا أَمَرَ اللهُ بِالتَّصْدِيقِ بِهِ، الْمُسْتَلْزِمُ لِأَعْمَالِ الْجَوَارِحِ الَّتِي مِنْ أَجَلِّهَا: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ؛ فَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ﴾؛ بِأَنْ تَبْذُلُوا نُفُوسَكُمْ وَمُهَجَكُمْ؛ لِمُصَادَمَةِ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ، وَالْقَصْدُ نَصْرُ دِينِ اللهِ، وَإِعْلَاءُ كَلِمَتِهِ، وَتُنْفِقُونَ مَا تَيَسَّرَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ فِي ذَلِكَ الْمَطْلُوبِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ كَرِيهًا لِلنُّفُوسِ شَاقًّا عَلَيْهَا؛ فَإِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ.

فَإِنَّ فِيهِ الْخَيْرَ الدُّنْيَوِيَّ؛ مِنَ النَّصْرِ عَلَىٰ الْأَعْدَاءِ، وَالْعِزِّ الْمُنَافِيَ لِلذُّلِّ، وَالرِّزْقِ الْوَاسِعِ، وَسِعَةِ الصَّدْرِ وَانْشِرَاحِهِ، وَالْخَيْرِ الْأُخْرَوِيِّ بِالْفَوْزِ بِثَوَابِ اللهِ، وَالنَّجَاةِ مِنْ عِقَابِهِ؛ وَلِهَذَا ذَكَرَ الْجَزَاءَ فِي الْآخِرَةِ، فَقَالَ: ﴿يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ﴾: وَهُوَ شَامِلٌ لِلصَّغَائِرِ وَالْكَبَائِرِ؛ فَإِنَّ الْإِيمَانَ بِاللهِ وَالْجِهَادَ فِي سَبِيلِهِ مُكَفِّرٌ لِلذُّنُوبِ وَلَوْ كَانَتْ كَبَائِرَ.

﴿وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ أَيْ: مِنْ تَحْتِ مَسَاكِنِهَا وَقُصُورِهَا وَغُرَفِهَا وَأَشْجَارِهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ، وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ، وَأَنْهَارٌ مَنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ، وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّىٰ، وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ.

﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ﴾ أَيْ: جَمَعَتْ كُلَّ طَيِّبٍ؛ مِنْ عُلُوٍّ وَارْتِفَاعٍ، وَحُسْنِ بِنَاءٍ وَزَخْرَفَةٍ؛ حَتَّىٰ إِنَّ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ أَهْلِ عِلِّيِّينَ يَتَرَاءَاهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ كَمَا يُتَرَاءَىٰ الْكَوْكَبُ الدُّرِّيُّ فِي الْأُفُقِ الشَّرْقِيِّ أَوِ الْغَرْبِيِّ، وَحَتَّىٰ إِنَّ بِنَاءَ الْجَنَّةِ بَعْضُهُ مِنْ لَبِنِ ذَهَبٍ، وَبَعْضُهُ مِنْ لَبِنِ فِضَّةٍ، وَخِيَامَهَا مِنَ اللُّؤْلُؤِ وَالْمَرْجَانِ، وَبَعْضَ الْمَنَازِلِ مِنَ الزُّمُرُّدِ وَالْجَوَاهِرِ الْمُلَوَّنَةِ بِأَحْسَنِ الْأَلْوَانِ.

حَتَّىٰ إِنَّهَا مِنْ صَفَائِهَا يُرَىٰ ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، وَفِيهَا مِنَ الطِّيبِ وَالْحُسْنِ مَا لَا يَأْتِي عَلَيْهِ وَصْفُ الْوَاصِفِينَ، وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُدْرِكُوهُ حَتَّىٰ يَرَوْهُ، وَيَتَمَتَّعُوا بِحُسْنِهِ، وَتَقَرَّ أَعْيُنُهُمْ بِهِ -اللهم أَقِرَّ أَعْيُنَنَا بِهِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ-.

فَفِي تِلْكَ الْحَالَةِ لَوْلَا أَنَّ اللهَ خَلَقَ أَهْلَ الْجَنَّةِ، وَأَنْشَأَهُمْ نَشْأَةً كَامِلَةً لَا تَقْبَلُ الْعَدَمَ؛ لَأَوْشَكَ أَنْ يَمُوتُوا مِنَ الْفَرَحِ؛ فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يُحْصِي أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ ثَنَاءً عَلَيْهِ، بَلْ هُوَ كَمَا أَثْنَىٰ عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَفَوْقَ مَا يُثْنِي عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَتَبَارَكَ الْجَلِيلُ الْجَمِيلُ الَّذِي أَنْشَأَ دَارَ النَّعِيمِ، وَجَعَلَ فِيهَا مِنَ الْجَلَالِ وَالْجَمَالِ مَا يَبْهَرُ عُقُولَ الْخَلْقِ، وَيَأْخُذُ بِأَفْئِدَتِهِمْ.

وَتَعَالَىٰ مَنْ لَهُ الْحِكْمَةُ التَّامَّةُ الَّتِي مِنْ جُمْلَتِهَا: أَنَّهُ اللهُ لَوْ أَرَىٰ الْعِبَادَ الْجَنَّةَ، وَنَظَرُوا إِلَىٰ مَا فِيهَا مِنَ النَّعِيمِ؛ لَمَا تَخَلَّفَ عَنْهَا أَحَدٌ، وَلَمَا هَنَّاهُمُ الْعَيْشُ فِي هَذِهِ الدَّارِ الْمُنَغَّصَةِ، الْمَشُوبِ نَعِيمُهَا بِأَلَمِهَا، وَفَرَحُهَا بِتَرَحِهَا[1].

وَسُمِّيَتِ الْجَنَّةُ جَنَّةَ عَدْنٍ؛ لِأَنَّ أَهْلَهَا مُقِيمُونَ فِيهَا، لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا أَبَدًا، وَلَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا؛ ﴿ذَٰلِكَ﴾ الثَّوَابُ الْجَزِيلُ وَالْأَجْرُ الْجَمِيلُ هُوَ ﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ الَّذِي لَا فَوْزَ مِثْلُهُ، فَهَذَا الثَّوَابُ الْأُخْرَوِيُّ.

وَأَمَّا الثَّوَابُ الدُّنْيَوِيُّ لِهَذِهِ التِّجَارَةِ؛ فَذَكَرَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا﴾، أَيْ: وَيَحْصُلُ لَكُمْ خَصْلَةٌ أُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا، وَهِيَ: نَصْرٌ مِنَ اللهِ لَكُمْ عَلَىٰ الْأَعْدَاءِ،

---

(١) التَّرَحُ: نَقِيضُ الْفَرَحِ أي: الحَزَن.

انظر «**لسان العرب**»: (٢/ ٤١٧)، مادة: (ترح).

يَحْصُلُ بِهِ الْعِزُّ وَالْفَرَحُ، وَفَتْحٌ قَرِيبٌ تَتَّسِعُ بِهِ دَائِرَةُ الْإِسْلَامِ، وَيَحْصُلُ بِهِ الرِّزْقُ الْوَاسِعُ، فَهَذَا جَزَاءُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُجَاهِدِينَ.

وَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الْجِهَادِ إِذَا قَامَ غَيْرُهُمْ بِالْجِهَادِ؛ فَلَمْ يُؤَيِّسْهُمُ اللهُ -تَعَالَىٰ- مِنْ فَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ، بَلْ قَالَ: ﴿**وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ**﴾؛ أَيْ: بِالثَّوَابِ الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ، كُلٌّ عَلَىٰ حَسَبِ إِيمَانِهِ؛ وَإِنْ كَانُوا لَا يَبْلُغُونَ مَبْلَغَ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا؛ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ**».

فَعَجِبَ لَهَا أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ رضي الله عنه -رَاوِي الْحَدِيثِ-، فَقَالَ: أَعِدْهَا عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَعَادَهَا عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**وَأُخْرَىٰ يُرْفَعُ بِهَا الْعَبْدُ مِائَةَ دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**».

فَقَالَ: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: «**الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١)»(٢). (*).

وَبِالْجُمْلَةِ؛ فَصِفَاتُ الْإِيمَانِ تِجَارَةٌ رَابِحَةٌ، وَصِفَاتُ الْكُفْرِ تِجَارَةٌ خَاسِرَةٌ. (*/٢).

---

(١) أخرجه مسلم في «**الصحيح**»: (٣/ ١٥٠١، رقم ١٨٨٤)

(٢) «**تيسير الكريم الرحمن**»: (ص ٨٦٠)، بتصرف واختصار يسير وزيادات.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «تَفْسِيرِ الْعَلَّامَةِ السَّعْدِيِّ» (تَفْسِيرُ سُورَةِ الصَّفِّ)، السَّبْتُ ٨ مِنْ صَفَرٍ ١٤٣١هـ| ٢٣-١-٢٠١٠م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «التَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [فاطر: ٢٩-٣٠].

إِنَّهُ لَا شَكَّ -عَلَىٰ حَسَبِ مَا قَضَتْ بِهِ نُصُوصُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ- أَنَّهُ مَا مِنْ شَيْءٍ يُصِيبُ الْعَبْدَ إِلَّا بِذَنْبٍ ارْتَكَبَهُ، وَأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُرْفَعَ عَنْهُ مَا نَزَلَ بِهِ -مَعَ رَحْمَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِهِ- إِلَّا بِإِقْلَاعِهِ عَنْ ذَنْبِهِ، وَنَدَمِهِ عَلَيْهِ، وَتَوْبَتِهِ إِلَىٰ رَبِّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا.

النَّاسُ كُلُّهُمْ يَبِيعُونَ، كُلُّهُمْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا**»(١).

النَّاسُ كُلُّهُمْ فِي هَذَا السُّوقِ.. كُلُّهُمْ بَائِعٌ؛ وَلَكِنْ مَاذَا يَشْتَرُونَ؟!!

هَذِهِ هِيَ الْمَسْأَلَةُ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصحَابِهِ أَجمَعِينَ.(*).

❀❀❀

(١) تقدم تخريجه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «التِّجَارَةُ الرَّابِحَةُ وَفِقْهُ الْقُلُوبِ» - الْجُمُعَةُ ١٥ مِنْ صَفَرٍ ١٤٣٧هـ| ٢٧-١١-٢٠١٥م.

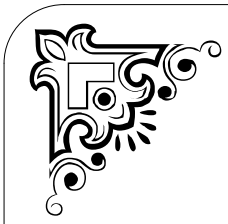

الْفِهْرِسُ

مُقَدِّمَةٌ ٣

الْإِسْلَامُ دِينُ الْعَمَلِ وَالتَّكَسُّبِ ٤

الْعَمَلُ سُنَّةُ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّحَابَةِ ١٦

جُمْلَةٌ مِنْ فَضَائِلِ الْعَمَلِ وَالِاكْتِسَابِ ٢٢

التِّجَارَةُ فِي الْإِسْلَامِ ٢٤

عَمَلُ النَّبِيِّ ﷺ بِالتِّجَارَةِ ٣٠

صِفَاتُ التَّاجِرِ الْأَمِينِ ٣٢

نَصَائِحُ النَّبِيِّ الْأَمِينِ ﷺ لِتُجَّارِ الْمُسْلِمِينَ ٥٩

التِّجَارَةُ الرَّابِحَةُ ٦٥